

0377.03.0004

Issues 3 and 4 of al-Jadeed Magazine, March and April 1976

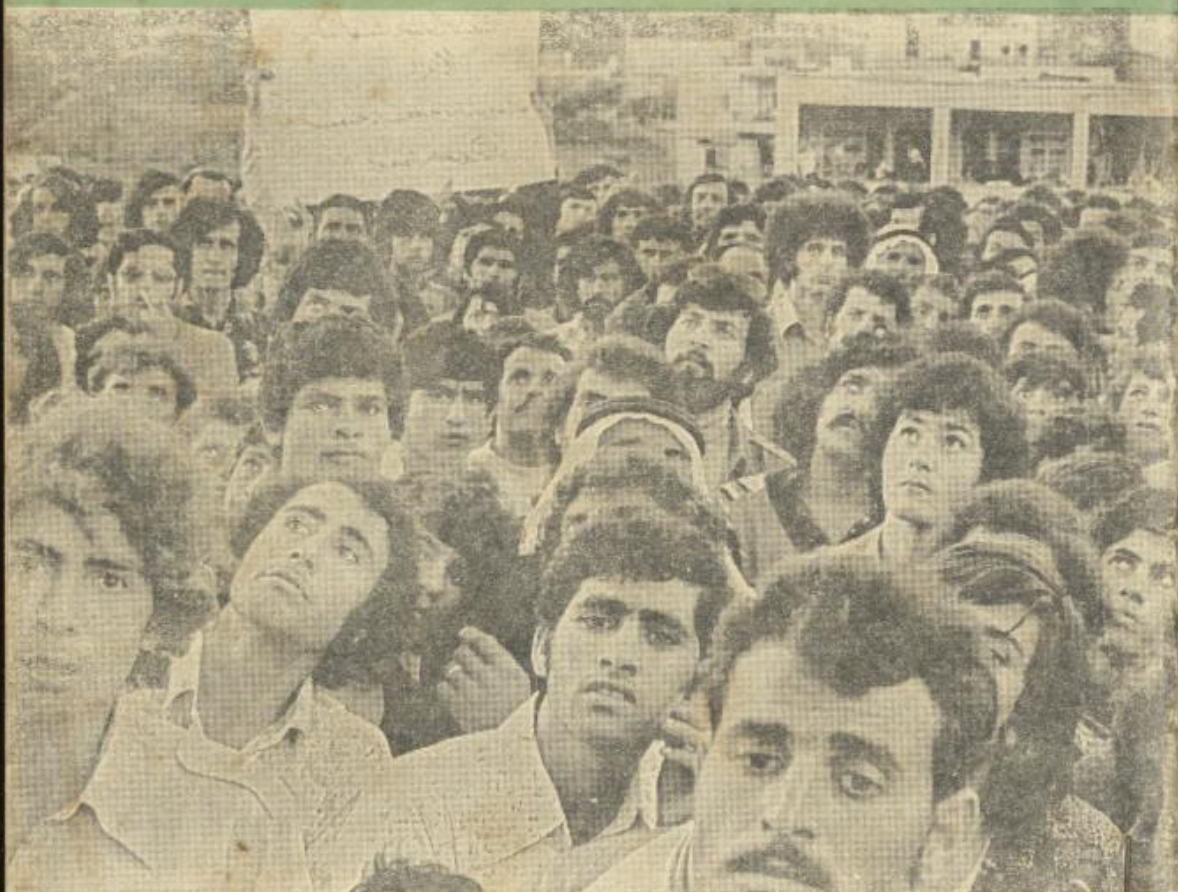
The third and fourth issues of al-Jadeed Magazine, March and April 1976, a monthly magazine for progressive national thought and culture established in 1951, supervised by its first editor, Hanna Naqqara, and printed at the Union Cooperative Press in Haifa. The cover included a picture of one of the popular demonstrations in farewell to the shaheeds of Earth Day, 30 March 1976, and an article by Saliba Khamis titled Zionism and the land, three poems by Fadwa Toukan, excerpts from Samih al-Qasim's poetry, a dialogue with Nizar Qabbani, an article by Ibrahim Malik on Arab agriculture in Israel, a story by Ahmad Nathim and another by Maya Danini, which was translated by Afif Salah Salem, and an illumination of the play "When We Went Mad" presented by the Sondouq al-Ajab Troupe.

الجديد

٤٣ - آذار، نيسان

الثلث: ٦ ليرات

شهرية الريادة الثقافية
- تأسست عام ١٩٥١ -



✱ الفصيح - الصمود - التحدي : من ملامح جواهرنا العربية بعد يوم
الارض والشهادة ، الثلاثين من آذار ١٩٧٦ . والصورة لجانب من
احدى التظاهرات الشعبية في وداع الشهداء ..

AL-JADEED

אל-חדיד

★ رأي الجديد ★

مؤتمر عامي

● في النصف الاول من نيسان عام ١٩٧٦ عقدت جامعة حيفا مؤتمرا دوليا حول ((الفلسطينيين والنزاع في الشرق الاوسط)) باشتراك ((خبراء)) - اغلبهم من دائرة الاستخبارات الاسرائيلية ومن المستشرقين الاسرائيليين والاجانب ، وبعض الاساتذة المحاضرين العرب .

وكان الهدف المعلن : البحث العلمي . والهدف غير المعلن : التضييل السياسي . فالمبادرون الى هذا اللقاء ارادوا أن يكون المؤتمر منبرا يبشر قادة اسرائيل من على منصته بسياساتهم التقليدية الرتيبة وتتردد اللازمة من ورائهم جوقسة ((علمية)) ..

ولهذا كان وزير الحربية شمعون بيرس من اوائل المحاضرين .. وكانت محاضراته النغمة الاصلية في البناء الموسيقي العام ..

وحتى لا تنتهم باللاموضوعية او بالتحييز الانعزالي تقرر ان بعض السدين اشتركوا في المؤتمر من الاساتذة الجامعيين الاسرائيليين والاجانب رفضوا الاشتراك بالنشيد العام فكانوا نشازا .. وبذلك اسهموا في ((تلطيف)) الجو الصهيوني العام ..

كذلك علينا ان نقرر ان حقائق العصر تسربت الى قاعة المؤتمر وفرضت نفسها على المؤتمرين وكان عليهم ان يعالجوها ..

ومن ابرز هذه الحقائق : منظمة التحرير الفلسطينية .. حتى شمعون بيرس كان عليه ان يتخذ موقفا منها .. ويفلسف رفض

السلطة الاسرائيلية التعامل معها .. وكان هذا الامر بدهياً بعد أن دعا أكثر من محاضر الى ضرورة بحث حقوق الشعب العربي الفلسطيني ..

ومن علائم العصر التي لم يعد من الممكن تجاهلها ان بعض المحاضرين الاجانب المخوا الى نظرة الشعوب العربية الى اسرائيل حين لاحظوا ان الدول العربية لم تغير رأيها من أن اسرائيل هي دولة عنصرية ذات أهداف توسعية .

لا نستطيع الفصل بين الفث والأسمين في اعمال هذا المؤتمر .. فالمحاضرات لم تنشر حتى الان والشذرات في الصحف السيارة لا تفني عنها .. والأمر الجوهرى ان هذا المؤتمر لم يف بهدفه المعلن كما قررنا في البداية .

ومع هذا نريد ان نتعرض الى محاضرة واحدة تؤلف في رأينا منطلقات حكام اسرائيل الذين يرفضون الاعتراف بوجود الشعب العربي الفلسطيني ..

هذه المحاضرة ألقاها المستشرق ايلي خادوري الذي وصفته الصحف الاسرائيلية بأنه أحد كبار العلماء المتخصصين في الشرق الاوسط في العالم .

أكد هذا العالم ، المعروف بعنائه الشديد للشعوب العربية عامة ، ان القوانين السياسية الاجتماعية العامة والسائدة لا تنطبق على الفلسطينيين ..

وكان يرد بذلك على البروفيسور دون بيرتس من جامعة نيويورك الذي قال ان المناء الاجتماعي سيقدر طبيعة الدولة الفلسطينية عند قيامها لا التصريحات السياسية الطنانة ..

وفي سبيل البرهنة على صدق نظريته قال خادوري ان السياسة - وبشكل خاص - معاداة الصهيونية كانت العامل الجوهرى في بلورة طابع الشعب الفلسطيني الاجتماعى . ولهذا أدى التوجه السياسى الى فوزى فى نسق الحياة الاجتماعية لدى الشعب العربى الفلسطينى .

واستنتج من هذا ان هناك غربة ضخمة بين السياسة والمجتمع بين الفلسطينيين .. واذلك ، ما دامت القوانين العامة لا تسري على الشعب العربى الفلسطينى فلا يمكن الاعتراف بالحقوق التى يعترف بها المجتمع الدولى ..

لقد اصـاب البروفيسور كارل الروي من جامعة برنستون حين قال ان التفكير الصهيونى لـون التوجه ازاء الشعوب العربية وشحنه بالاحطار والتقدير المفلوطة .. واضاف : اذا أردتم دراسة العرب لا تدرسوا اليهود او تستخدموا مقولات يهودية بل عليكم ان تدرسوا العرب وهذا لا يكون فى وزارة الخارجية ، عليكم ان تذهبوا الى العرب .

ولكن هذه النصيحة ذهبت هباء .. وحكام اسرائيل لن يقبلوا بها ولن يعترفوا بالشعب العربى الفلسطينى الا قسرا .. وسر التاريخ سيفرض ذلك لان الشعب العربى الفلسطينى لا يختلف عن سائر الشعوب الا بشكل معركته التحررية لا بجوهرها .

شهداء الارض الفـالـية
خالدون خاود الوطن في قوب شـعـبهم

خير محمد ياسين	من عرابة
خديجة قاسم شواهنة	من سخنين
رجا حسين ابو ريا	من سخنين
خضر عبد خلايلة	من سخنين
محسن يوسف طه	من كفر كنا

رأفت زهيري — من نور شمس ، استشهد في الطيبة

- شهداؤنا انشؤوا تراب الوطن في يوم الارض ، الثلاثين من آذار ١٩٧٦
- نعاهدكم يا شهداءنا الابرار ، ونعاهد تراب الوطن الذي بذلتم ارواحكم من اجله على مواصلة الكفاح ضد الظلم والارهاب الصهيونيين
... انصريين
- المجد والخاود ... لكم ، للوطن ، وللشعب الصامد .

هيئة تحرير « الجديد »

صليبا خميس

الاستراتيجية الصهيونية والارض

« ملكية الارض الخاصة في المناطق التي تمنح لنا يجب ان ننزعها تدريجيا من ايدي اصحابها . افقر السكان منهم يجب ان نحاول نقلهم بهدوء الى خارج الحدود وابداد العمل لهم في الافطار التي ينقلون اليها . ولكن في بلادنا يجب ان نحرمهم من العمل . اصحاب الاملاك ينضمون اليها . نقل ملكية الارض وتهجير الفقراء يجب تنفيذهما بليوننة وحذر . ولندع الملاكين يعتقدون انهم يستقلوننا بتقاضى امان نفوق قيمة الارض .. ولكن لا ارض يعاد بيعها الى اصحابها » (١)

هناك حقيقة غابت زمنا طويلا عن عيون العالم ، وحتى عن عيون الدوائر المقررة في العالم العربي حول الاستراتيجية الصهيونية في المنطقة . فقد توهم البعض ، ان مجرد اقامة وطن قومي ، في دولة خاصة باليهود تحل المسألة اليهودية في فلسطين ، باعتبار قيام دولة يهودية في قسم من فلسطين هو الهدف النهائي للحركة الصهيونية .

غير ان قيام الدولة اليهودية ، لم يكن الا تحقيق مرحلة في مخطط الحركة الصهيونية ، التي جعلت دولة اسرائيل مركزا لها وللدول الامبريالية واحتكاراتها اضرب حركة التحرر القومي العربية ، والتوسع المستمر بمساندة القوى الامبريالية التي تحمي اسرائيل مصالحها وتخدم اهدافها الاستراتيجية في المنطقة .

ويؤكد ان القيادة الصهيونية لم تتخل عن استراتيجيتها العامة ، تفاقم النزاع الاسرائيلي - العربي بامتداد مطامع التوسع ليس على جميع فلسطين وحسب ، بل على اقسام من اراضي الدول العربية المجاورة ، وعلى النفط العربي ، والممرات البحرية العربية ، وعلى من يكون صاحب السيادة في المنطقة ! ويؤخذ من مذكرات هرتسل ، ان الحركة الصهيونية منذ نشأتها كحركة سياسية وضعت امامها هدف الاستيلاء على الحد الاقصى من الارض ، كقاعدة حتمية لاقامة دولة يهودية كبيرة . والماتور عن بن غوريون انه وافق على قرار التقسيم باعتباره نقطة قفز للاستيلاء على جميع اجزاء فلسطين . والاستراتيجية الصهيونية لم تتغير بعد قيام الدولة اليهودية ، بل ربما تغيرت الاساليب بالنسبة لتغير توازن القوى . ولكن هذه الاستراتيجية كما وصفها احد آباء الاستيطان الصهيوني في فلسطين او شكين عام ١٩٠٤ هي كما يلي :

((من اجل تأسيس حياة مستقلة للطائفة اليهودية - او على الاصح ، تأسيس دولة يهودية في فلسطين ، من المحتم بالدرجة الاولى ، ان تكون جميع اراضي فلسطين او معظمها ملك شعب اسرائيل . وبدون حق ملكية الارض ، لا تكون فلسطين يهودية ابدا ، مهما يكن عدد اليهود في المدن والقرى ... ولكن كيف يمكن الحصول على ملكية الارض حسب الاساليب المتبعة في العالم ؟ باحدى الطرق الثلاثة التالية فقط : بالقوة - بواسطة الاحتلال العسكري ، او بمعنى آخر اغتصاب الارض من ايدي اصحابها . ثانيا بالقسر ، اي مصادرة الاراضي على يد الحكومة . وثالثا بشراء الاراضي من اصحابها باختيارهم ...)) (٢)

من ملايين الدونمات التي صادرتها الحكومة منذ قيام الدولة باعتبارها املاكا متروكة للفائزين . صادرت الحكومة زهاء اربعين بالمئة من الاراضي التي يملكها العرب في اسرائيل والمقيمين فيها بصورة قانونية . (٢)

((الاملاك المتروكة كانت من اهم العوامل لجعل اسرائيل دولة ذات مقومات . ان مساحة هذه الاملاك وكون معظم مناطق الحدود من املاك متروكة ، جعل هذه الاملاك ذات قيمة استراتيجية بارزة . من مجموع ٣٧٠ مستوطنة يهودية اقيمت بين ١٩٤٨ واول سنة ١٩٥٣ ، هناك ٣٥٠ مستوطنة اقيمت على اراضي الفائزين . (٤) وفي سنة ١٩٥٤ كان اكثر من ثلث السكان اليهود في اسرائيل وثلث المهاجرين اليهود الى اسرائيل ايضا (٢٥٠,٠٠٠) يعيشون على اراضي الفائزين العرب ...)) (٥)

وضعت لجنة التوفيق الدولية بشأن فلسطين ، تقديرا لحجم املاك الفائزين العرب في اسرائيل فقالت ان الارض الزراعية من هذه الاملاك كانت تساوي ضعفين ونصف الضعف من مجموع ممتلكات اليهود في نهاية (البقية على صفحة ٨٣)

فدوى طوقان

ثلاث قصائد

● لا وقت للحب ●

موعدنا كان على المنحدر
ذات مساء مضى
أمرع فيه حلم وازدهر
شوق ملئ

لكنتى حين وقفت والتفت
اطل ثم حط
طير سنين القحط !

حطمت مرأتى
دمرت فيها الحلم والاشواق
وعدت أدرأجى
أخبط فى معركة الاعماق

ذاك المساء المضى
رجوت من تحبه نفسى
أن لا يجىء !

● وطلع القمر .. ●

دربى موحشة يزحف فيها جبل الليل
تتشقق تحتى أرضى العطشى
تتراخى ، تفلت ، لا تتماسك ،

— تهرب أرضى من قدمى
دربى يحجزها خط النار ، يزنرها حقل الالغام
— تحاصرها نقط التفتيش

غيلان الليل تطارد فيها حتى الظل
وتمزق حتى شفتى طفل
غنى فى الدرب : أريد أعيش !

وأنا فى قبضة هذا الليل
والوطن هنا العربية والنفى
يا قمرى كيف وصلت الى ؟!

● كنوز الخير ●

الشوق شرع مفتوح
والرؤيا سيدة الريح
تتهاوى كل اجدران ويبحر وجهك في عيني

يشتعل الحلم ، نخيل أريحا يضحك للشمس
يتحرك قلب « البحر الميت » يجلو ماء الملح المر
تعلو الامواج يفيض البحر
تغسل كفاه في وطنى قسمات الحزن الخوف اليأس
الارض العطشى تخضر
تخفق أجنحة الطير !
أخذ وجهك في كفى
تنفتح ، تفيض كنوز الخير !

سميح القاسم

مقاطع من:

٣٠ آذار

(اعلناه يوما للارض .. وعلنته دماء شهدائنا عيدا فلسطينيا من اعياد الصومود والفداء ..)

● ١ - مع الشهداء .. ●

« كل عام وانتم بخير »
صاحبها دمكم وانكفأ
ساخنا نابضا في وحام الجذور
نيزك الحب والحق قد صاح : انهضوا !
اج في الليل نارا ونور
اشعل الحب والحق في دمنا
زالزل الظمى في غورنا وانكفأ
دمكم - دمنا
سال ، لكنه ما انطقا ..

(يا ام الشهيد زغردي

كل الشباب اولادك)

الاذاعات والصحف المترفة
تجهل الفرق يا اخوتي
بين معرفة الدم ، والمعرفة
فاكرزوا في الشعوب ، اكرزوا باسمنا
دمكم صوتنا !

قضايا متفاوتة في طابعها ونوعيتها وأسبابها .

الأرض هي القضية

لكن القضية الأساسية التي تواجهها الزراعة العربية في إسرائيل كانت ولا تزال قضية الأرض . فهي عنصر رئيسي من عناصر الانتاج الزراعي . وبدون الأرض لا يمكن ممارسة أي نشاط زراعي جدي . وقد استفحل خطر هذه القضية ، بشكل خاص بعد عام ١٩٤٨ وقيام الدولة ، اذ رافق قيامها تشريد عشرات آلاف القرويين العرب عن قراهم وتدمير قطاعات زراعية أساسية فيها وتخريبها ومصادرة الأرض التي كانت تقوم عليها عشرات القرى العربية .

ولم تكف الحكومات الإسرائيلية المتتالية بتشريد عشرات آلاف القرويين العرب عن قراهم (١) في السنوات الأولى لقيام الدولة ، أي في الأعوام ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ ، ومنعهم من العودة إليها وتشريع مختلف الأنظمة والقوانين التصفية والاستبدادية لاضفاء الصفة القانونية على مصادرتها وإبعاد القرويين عنها ، انما واصلت طيلة السنوات الـ ٢٨ الماضية القيام بأشنع عملية سلب

منظم وواسع للأراضي العربية في أكثر من مئة قرية وتجمع عربي في الجليل والمثلث والنقب .

لقد صادرت السلطات الإسرائيلية ، وفق المعطيات الرسمية على قتلها بين ١٩٤٨ و ١٩٦٣ ، أكثر من ٥٥ بالمئة من أراضي القرى العربية الـ ٨٨ التي ظلت قائمة في اطار الدولة ولم يرحل سكانها . ففي عام ١٩٤٨ كانت هذه القرى الـ ٨٨ تمتلك مليوناً و ٢٣٦ ألف دونم لم يبق منها في حوزتها ، في عام ١٩٦٣ ، الا ٧٩٩ ألفاً و ١٣٩ دونماً ، منها ٢٨٦ ألف دونم أراضي زراعية (٢) . أي ان مساحة الأرض التي صودرت من هذه القرى بلغت ، حتى عام ١٩٦٣ ، ٦٥٢ ألف دونم منها ٤١٨ ألف دونم أراضي زراعية .

ومنذ اوائل الستينات لم تتوقف طاحونة السلب عن الدوران .. فعملت الحكومة ولا تزال ، بمختلف الوسائل ، على انتزاع ٢٢٠ ألف دونم أخرى من ملكية ٤٢ قرية عربية في الجليل ، ادعت الدولة ملكيتها (٣) ، وهي أراضي ، كما تزعم السلطات ، اما مسجلة على اسم المستعبد السامي واما أراضي

١ - جاء في كتاب البروفسور حاييم هلبيرن « عن التحولات الزراعية في إسرائيل » ، الذي صدر في عام ١٩٦٣ ، انه الى الشمال من بئر السبع كان هناك ٣٦٤ قرية عربية في اطار حدود الدولة لم يبق منها الا ٨٨ قرية فقط . وكانت مساحة الأراضي التي تمتلكها هذه القرى قبيل قيام الدولة ٤ ملايين و ٣١١ ألف دونم منها مليونان و ٧٥٢ ألف دونم أراضي مستصلحة زراعية . ولقد سيطرت الدولة بعد تشريد أكثرية سكان هذه القرى على مليونين و ٨٠٠ ألف دونم منها ١٤٩ مليون دونم أراضي زراعية ..

« المجلس الشعبي للرخسار الاجتماعي » دراسة ، في شباط من العام الجاري ، أكدت فيها ان قضية القضايا المتعلقة بالأرض في القرى العربية هي قضية الملكية . ولقد كانت للقرى العربية طيلة سنوات الدولة تجربة مرة جداً في هذا المجال . فالدولة تدعي ملكية ٥٥ بالمئة من الأراضي الواقعة ضمن نفوذ القرى العربية الواقعة في الشمال من الرملة . فمن أصل ٨٥٨ ألفاً و ٧٩١ دونماً تقع ضمن نفوذ القرى العربية تدعي الدولة ملكية ٤٧٢ ألفاً و ٧٩٨ دونماً ، منها ٤١٣ ألفاً و ١٤٦ دونماً أراضي سخرية .

٣ - تقدير « دائرة أراضي إسرائيل » لعام

٢ - أصدرت شعبة الشؤون العربية في ١٩٦٢ / ١٩٦٣ .

حربية او صخرية او بور او موات . أي ان مجموع ما خسرت القرى العربية من اراضي يزيد على ٨٧٢ ألف دونم ، او ثلثي ما كانت تمتلكه تقريبا . وهي في معظمها اراضي زراعية خصبة وصالحة للمراعي والاحراش .

الزراعة العربية تفقد عنصر الانتاج الرئيسي

لقد الحقت عملية سلب الارض الواسع والمنظم اضارا بالغة جدا بالزراعة العربية ، اذ حرمتها من عنصر الانتاج الرئيسي في كل زراعة - من الارض . وحرمتها بذلك من فرص التطور الجدي والانتعاش . ونتيجة لذلك وجد آلاف القرويين العرب ، الذين كان ٧٥ بالمئة منهم يعتاشون من العمل في الزراعة وما يرتبط بها ، انفسهم وقد فقدوا ، بين عشية وضحاها ، مصدر الرزق الرئيسي لسديهم ولدى عائلاتهم - الارض .

ففي حين خسرت القرى العربية الواقعة الى الشمال من منطقة بئر السبع ثلثي اراضيها ارتفع عدد السكان العرب في معظم هذه القرى ثلاث مرات ، وفي بعضها ٤ مرات ، بالمقارنة مع ما كان عليه في عام ١٩٤٨ . ومن الطبيعي ان يترتب عن ذلك انخفاض ملحوظ في متوسط مساحة الارض ، عامة ، التابعة للقرية العربية ومساحة الارض المزروعة بشكل خاص بالنسبة لكل مواطن في تلك القرى .

فاذا كان متوسط عدد السكان في القرية العربية قبل عام ١٩٤٨ قرابة ١.٩٠ نسمة ارتفع هذا المتوسط بعد قيام الدولة مباشرة الى ١٢.٤٤ نسمة (نتيجة لانتحاء آلاف القرويين المشردين الى القرى العربية القائمة)

والى ما يتراوح بين ٤ آلاف و ٥ آلاف نسمة في عام ١٩٧٥ .

وبالمقابل انخفض متوسط مساحة الارض ، عامة ، التابعة للقرية العربية من ١٦ ألفا و ٥٠٠ دونم قبل عام ١٩٤٨ الى ١٤ ألفا و ٧٠٠ دونم مباشرة بعد قيام الدولة ، ثم الى ٧ آلاف و ٦٨٥ دونما في عام ١٩٦٣ والى قرابة ٥٠٠٠ دونم في عام ١٩٧٤ .

وانخفض ، كذلك ، متوسط مساحة الارض المزروعة في القرية العربية من ٩ آلاف و ١٣٦ دونما قبل عام ١٩٤٨ الى ٦ آلاف و ٦٠٠ دونم بعد قيامها والى ٣ آلاف و ٧١١ دونما في عام ١٩٦٣ والى اقل من ذلك في عام ١٩٧٤ .

اما متوسط مساحة الارض التابعة للقرية بالنسبة للفرد الواحد فانخفض من ١٦ دونما قبل عام ١٩٤٨ الى ١٢ دونما بعد قيام الدولة مباشرة فالى ٤.٦ دونم في عام ١٩٦٣ والى اقل من دونم واحد في عام ١٩٧٥ . . . وانخفض ، بالنسبة العادية ذاتها ، متوسط الارض المزروعة في القرية بالنسبة للفرد الواحد .

ونقلت ، ايضا ، مساحة الوحدة الزراعية الانتاجية في القرية العربية . فاذا كان متوسط مساحة الوحدة الزراعية الانتاجية في القرى العربية في عام ١٩٤٤ (٤) ٦٧.٤٣ دونما انخفض هذا المتوسط الى ٣٨.٥٥ دونما في عام ١٩٥٠ (٥) والى ٢٦.٤٩ دونما في عام ١٩٦٣ (٦) .

ولقد أجرت وزارة الزراعة دراسة حول اوضاع الزراعة في القرى العربية في عام ١٩٦٣ شمل ١٠٤ قرى عربية الى الشمال من

٤ - حاييم علبين « عن التحولات الزراعية

في اسرائيل » .

٥ - دراسة للدائرة المركزية للإحصاء -

١٩٤٩ - ١٩٥٠ .

٦ - من بحث أجرته وزارة الزراعة عن

الزراعة العربية في اسرائيل ، عام ١٩٦٣ .

منطقة بشر السبع . وقد اتضح من هذه الدراسة ان ٥٠ بالمائة من سكان هذه القرى لا يمتلكون اراضي زراعية وان ٥٥ بالمائة من السكان يمتلكون ٢٨٦ ألف دونم من الاراضي المزروعة . وكشفت الدراسة عن ان ٦٦ بالمائة من السكان الذين يمتلكون اراضي زراعية يتراوح ما يمتلكونه بين ١ - ٣٠ دونما ، أي أقل من مساحة الأرض الكافية لضمان اعادة اصحابها بصورة مستقلة . وفقط ٥ بالمائة من أولئك السكان يمتلكون أكثر من ١٠٠ دونما ، أي يستطيعون الاعتماد كلياً على العيش من العمل في الزراعة .

يتضح من كل هذا ان القرى العربية خسرت قرابة ثلثي اراضيها الزراعية منذ قيام الدولة وان هذا أدى الى انخفاض ملحوظ في مساحة الوحدة الزراعية الانتاجية في القرى العربية وهبوط في متوسط الأرض الزراعية بالنسبة للفرد الواحد في تلك القرى . هذا فضلاً عن انتشار الملكية الصغيرة للأرض في قرانا العربية وما يترتب عنه من نتائج سلبية على تطور الزراعة العربية في اسرائيل، عامة . كما ان القسم الأكبر من هذه الأراضي اراضي بعل فلا يروى منها الا القليل .

ونستطيع على ضوء هذه المعطيات ان نفهم الاسباب الحقيقية للتحوّل في بنية العمالة في القرى العربية . فتنتيجة لسلب السلطات لثلي الاراضي الزراعية العربية ولانتشار وحدات الانتاج الزراعية الصغيرة وتضييق السلطات الخناق على المزارعين العرب يضطر قرابة نصف القرويين العرب ممن يمتلكون اراضي زراعية الى العمل خارج قراهم وفي قروص انتاج غير الزراعة . ففي حين بلغت نسبة القرويين العرب العاملين في الزراعة قبيل ١٩٤٨ ٧٥ بالمائة من مجموع سكان القرى انخفضت هذه النسبة الى ٤٢ بالمائة في عام

١٩٦٣ . هذا مع العلم ان قسماً من العاملين في الزراعة يعمل خارج ، مكان سكنهم أي في المستوطنات والكيبوتسات اليهودية . وفي عام ١٩٦٤ بلغت نسبة العاملين في الزراعة من مجموع الايدي العاملة العربية ٢٥٠٦ بالمائة . ثم انخفضت الى ٢٣٠٢ بالمائة في عام ١٩٦٩ (٧) والى ١٩٠٢ بالمائة في عام ١٩٧٣ و ١٤٠٨ بالمائة في عام ١٩٧٤ (٨) .

ومع ذلك فان نسبة العاملين من العرب في الزراعة لا تزال عالية وتبلغ أكثر من ثلاثة اضعاف نسبة العاملين من اليهود في الزراعة عامة . فاذا بلغت نسبة العاملين في الزراعة عامة من مجموع الايدي العاملة الكلية في البلاد ٧٠٥ بالمائة في عام ١٩٧٣ بلغت نسبة العاملين من اليهود في الزراعة في هذا العام ٦٠٢ بالمائة، بينما بلغت هذه النسبة بين العمال العرب ١٩٠٢ بالمائة ، او ما يعادل ٢٥ بالمائة من الاهل العرب .

٩٠ بالمائة من الزراعة العربية زراعة بعليّة

أؤكد المعطيات الرسمية ، وبشكل خاص « كتاب الاحصاء السنوي لاسرائيل » ، ان مساحة الأرض العربية المزروعة في اسرائيل تتراوح بين ٨٨٥ و ٨٩٥ ألف دونم . ولكن هذه المعطيات من شأنها ان تثير انطباعات خاطئة ومضللة . فهي تتجاهل حقيقة ان القسم الأكبر من هذه الأراضي يقع في الجنوب من منطقة الرملة ، أي في النقب . ومن المعلوم ان منطقة النقب منطقة جافة يقل فيها هبوط المطر وتهدد اراضيها الجفاف باستمرار ومردودها قليل ، كما ان استخدام التربة في بعض هذه المناطق لضمان انتاج زراعي مكثف يتطلب احداث اصلاحات جذرية في التربة

٧ - كتاب الاحصاء السنوي لعام ١٩٧٠ ،

ص ٢٧٢ .

٨ - كتاب الاحصاء السنوي لعام ١٩٧٥ ،

ص ٣٠٢ .

واستخدام المكننة العصرية واساليب الزراعة الحديثة وخبرة فنية في العمل الزراعي .

ولكن لا يخفى على احد واقع ان السلطات الرسمية تعتمد ليس فقط اهمال الزراعة العربية في مناطق النقب ، انما تصفية هذه الزراعة وتركيز عرب النقب في تجمعات سكنية بعيدا عن اراضيهم ، بعد ارغامهم على التنازل عنها وتحويلهم الى أيدي عاملة بخسة تستغلها في المستوطنات اليهودية ومنشآت البناء والمجالات الاخرى .

وعلى الرغم من قلة المعطيات عن مساحة الاراضي العربية المصادرة في مناطق النقب الا ان بعض التقارير تقدر ان السلطات سلبت

ولا تزال تخطط لسلب اكثر من مليون دونم من اراضي عرب النقب ومراعيهم . وعليه لا نستطيع التحدث عن زراعة عربية جدية الا في المناطق الواقعة الى الشمال من بحر السبع ، حيث لا تزيد مساحة الاراضي العربية المزروعة عن ٤٣٠ - ٥٠٠ ألف دونم . ومع ذلك فسنعتبر مساحة الارض العربية المزروعة ٨٥٠ ألف دونم ، لان هذا يشكل اساسا لحساب معطيات اخرى هامة وضرورية عن الزراعة العربية .

جدول رقم ١

وفيما يلي جدول رقم ١ بمساحة الارض العربية المزروعة وانواع المزروعات فيها وحجم المساحة المروية منها :

الاعوام	مساحة الارض المزروعة بالآلاف الدونمات	منها مروية	مروية غلال ومحاصيل حقلية	خضروات بطاطا ومقاني	فواكه متفرقات (١)	نسبة الارض المروية
١٩٥٩ - ٦٠	٧٤٥	٢٨	٥٥١	٥٦	١٢٢	٢٤٧
١٩٦٤ - ٦٥	٨٥٠	٣٥	٦٢٧	٧٧	١٢٦	٤٤١
١٩٦٩ - ٧٠	٧٦٦	٤٦	٥٣٢	٧٩	١٣٠	٦٤٥
١٩٧٠ - ٧١	٧٧٢	٥٤	٥٣٧	٨٠	١٣٠	٧
١٩٧١ - ٧٢	٧٦٠	٥٨	٥٢١	٨٥	١٣٠	٧٤٥
١٩٧٢ - ٧٣	٧٦٥	٦٢	٥٢٥	٨٦	١٣٠	٨٤١
١٩٧٣ - ٧٤	٨٨٥	٦٨	٦١٩	١١٢	١٣٠	٧٤٦
١٩٧٤ - ٧٥	٨٩٥	٧٥	٦٢٥	١١٦	١٣٠	٨٤٧

يستدل من الجدول ان الزراعة العربية في اسرائيل لا تمنى ، فقط ، من نقص خطير في الارض الصالحة للزراعة ، انما كذلك من نقص بالغ في مساحة الارض المروية بسببه النقص الكبير في مخصصات المياه للري التي

تحصل عليها الزراعة العربية . ففي حين تبلغ نسبة الارض المروية في الزراعة اليهودية اكثر من ٤٠ بالمائة تتراوح هذه النسبة في الزراعة العربية بين ٣ واقل من ٩ بالمائة . فاكثر من ٩٠ بالمائة من الاراضي العربية

١٩٧٣ و ١٩٧٥ .

١ - مشاتل وازهار وغيرها .
- المصدر : الكتاب السنوي للاحصاء ،

المزروعة تزرع بعلا . ويعتبر النقص الكبير في مخصصات الري للزراعة العربية إحدى القضايا الأساسية التي تعاني منها الزراعة في قرانا . وهي ان تكشف عن شيء فمن التمييز الفاضح الرسمي تجاه الزراعة العربية . وتكشف المظلمات الرسمية عن ان حصة الزراعة العربية من مخصصات المياه للري لا تزيد حاليا عن ١٧ بالمائة ، بينما تبلغ نسبة الارض العربية المزروعة حوالي ١٠ بالمائة من الارض الزراعية في البلاد . ومع ان عدد تعاونيات المياه في القرى العربية ازداد ثلاثة اضعاف في الفترة بين ١٩٦١ - ١٩٧٢ من ٢٩ الى ١٠٨ تعاونيات فان حصة المياه للري المخصصة للزراعة العربية لم تزد في هذه الفترة اكثر من مرة ونصف المرة . وقد بلغ عدد جمعيات المياه التعاونية في القرى العربية حتى ١٩٧٢-١٢-٧٤ ٥٨ جمعية مياه للشرب و ٥٤ جمعية مياه للري (٩) .

أضف الى ذلك ان القرى التي تحصل على مخصصات مياه للري لا تنال الكمية الضرورية فعلا لزراعتها . فمثلا خصصت وزارة الزراعة في عام ١٩٧٤ ألف متر مكعب من المياه لزراعي التوت في قلنسوة ، بسعر ١٥ أغورا للمتر المكعب ، في حين ان ما يحتاجه الدونم الواحد فعلا يصل الى ١٥٠٠ متر مكعب . وكل متر مكعب يستهلكه مزارعو التوت في قلنسوة زيادة على الالف متر مكعب ، المخصصة للدونم الواحد ، يدفعون ثمنه ٧٥ أغورا أي بزيادة ٦٠ أغورا ... ومن الواضح ان هذه خسارة كبيرة يتحملها المزارعون انفسهم . وليست قلنسوة الا مثلا لما هي عليه حالة

الزراعة العربية .. ففي دير حنا خصصت « مقوروت » ٣٤ ألف متر مكعب لجمعية « الزهراء » التعاونية في القرية ، التي أنشأها الاهلون في عام ١٩٦٤ . وقد خصص من هذه الكمية ٤ آلاف متر مكعب فقط للري . وقد طالب الفلاحون باستمرار في زيادة مخصصات المياه للري ، وذلك لتقليل تكاليف الانتاج الزراعي . فقد كان سعر استهلاك المتر المكعب من المياه للري في حينه ١٥ أغورا في حين بلغ سعر المتر المكعب للشرب ٢٠ أغورا . ولكن « مقوروت » لم ترفع مخصصات المياه لهذه القرية الا في عام ١٩٧٤ وبعد ان يبلغ استهلاك المياه ٧٥ ألف متر مكعب ، أي بزيادة ٤٠ ألف متر مكعب عن الكمية المقررة . وحتى حين رفعت « مقوروت » مخصصات المياه لهذه القرية الى ٨٠ ألف متر مكعب خصصت منها ١٢ ألف متر مكعب للري ، هذا فضلا عن المتاعب المالية التي فرضتها « مقوروت » على جمعية « الزهراء » في دير حنا .

وفي كثير من القرى العربية التي حصلت على مخصصات اعلى لمياه الري اشترطت وزارة الزراعة للمصادقة على ذلك بان يزرع المزارعون العرب في تلك القرى اصنافا محددة من الخضروات او الفاكهة مثل السالري في كفر قرع وبيير السكة ، وتوت الارض في الطيرة وقلنسوة وغير ذلك .

وقد اعترفت وزارة العمل في نشرتها الشهرية بالمصاعب العديدة التي تواجه جمعيات المياه للري في القرى العربية . جاء في النشرة (١٠) :

٩ - انتاجية و ٣ جمعيات استهلاكية .

١٠ - النشرة الشهرية لوزارة العمل ، ١٥ تشرين الثاني وكانون الاول ١٩٧٥ ، صفحة ٣٩٨ .

٩ - جاء في النشرة الشهرية لوزارة العمل والتأمين القومي عدد ١١-١٢/١٩٧٥ انه هناك ١٦٨ جمعية تعاونية في الوسط العربي منها ١١٢ جمعية مياه و ٩ جمعيات زراعية وجمعيتان للتسويق الزراعي و ٧ جمعيات

« تواجه جمعيات مياه الري مشكلة النقص في الماء .. وهناك جمعيات لم تنل زيادة في مخصصات المياه الممنوحة لها منذ تأسيسها على الرغم من اتساع عدد أعضائها ، الأمر الذي يشكل عائقاً أمام تطوير فروع جديدة في عمل التعاونيات مثل تطوير زراعة الفواكه وتربية الحيوانات . ويتعبر المزارعون العرب اليوم مستهلكون لهذا الناتج الزراعي ، أي الفواكه والحيوانات ، بدلاً من أن يكونوا منتجين له . وإن عدداً من جمعيات مياه الري يستهلك من المياه أكثر مما خصص له .. ولا يستطيع عدم تجاوز قانون استهلاك المياه الذي يشدد بفرض غرامات كبيرة على مخالفته ومتجاوزه » . ومن الواضح أن النقص الكبير في مخصصات المياه للزراعة العربية يؤثر سلباً في اتجاهين أساسيين :

١ - في إنتاجية الزراعة العربية ، ٢ - في نوعية المزروعات واصنافها .

فمن الأمور الثابتة اليوم والبدئية أن إنتاجية الدونم الواحد المروي تعادل إنتاجية ٤ دونمات مزروعة بعلا . وعليه فإن وحدة الانتاج الزراعية في الزراعة اليهودية تبلغ ٢ أضعاف وحدة الانتاج الزراعية في الزراعة العربية . فوفق المعطيات الرسمية تبلغ الوحدة الزراعية في الوسط اليهودي ،

١١ - اقترح رعتان قابس ، المسؤول عن الاستيطان في الوكالة اليهودية ، جعل الوحدة الزراعية الانتاجية في المستوطنات اليهودية ٥٥ دونماً ، يروى منها ٤٠ / ، على أن تزرع الأراضي المروية بالقطن والقمح وشمندر السكر والخضروات . هذا بالإضافة إلى تربية الدواجن من الطيور والحيوانات . وهذه هي فعلاً مساحة الوحدة الزراعية في المستوطنات الجديدة .

بالتوسط ، ٤٢ (١١) دونماً منها ٢٠ دونماً أراضي مروية . أما الوحدة الزراعية في الزراعة العربية فتبلغ بالتوسط ٢٦ دونماً ، منها أقل من دونمين أراضي مروية . من هذا ينتج أن الوحدة الزراعية في الزراعة اليهودية تصل مساحتها ١.٢ دونماً في حين لا تزيد مساحتها في الزراعة العربية عن ٣٤ دونماً بالتوسط . ومن الواضح أن هذا الفارق الكبير ينعكس في إنتاجية الزراعة العربية للدونم الواحد ومن ثم في مداخيل الفلاح العربي . وهو بفسر ، بالإضافة إلى عوامل أخرى مثل استعمال الأسمدة الكيماوية ومبيدات الحشرات والخبرة الفنية وتركيز الأرض ، يفسر الفارق الكبير في إنتاجية الدونم الواحد بين الزراعة اليهودية والزراعة العربية .

ولنأخذ مثلاً زراعة شمندر السكر ، التي أدخلت مؤخراً إلى عدد من قرى البطوف .. فإنتاجية الدونم الواحد في الزراعة المروية تبلغ ٦ طن من شمندر السكر . وهذه تنتج ٨٠٥ كيلوغرام من السكر . أما إنتاجية الدونم الواحد في الزراعة البعلية (أي العربية في الأساس) (١٢) فلا تزيد عن ١٤٦ طن من شمندر السكر ، أو ما يعادل ٢.٨ كغم من السكر .

وينسحب الأمر ذاته على إنتاج الخضروات عامة . فمثلاً بلغت مساحة الأرض العربية

١٢ - بلغ مجموع ما اردع من شمندر السكر في الزراعة العربية في عام ١٩٦٨/٦٩ ١١ ألفاً و ٢٠٠ دونماً (بعل) وفي الزراعة اليهودية ٣٤ ألفاً (ري) ، في عام ١٩٧١/٧٢ ١٤٦ ألف دونم بعل في الزراعة العربية مقابل ٤١٤٨ ألف دونم ري في الزراعة اليهودية . لكن زراعته عادت وانخفضت في ١٩٧٣/٧٤ إلى ٢٤١ ألف دونم في الزراعة العربية وإلى ١٨٤٨ ألف دونم في الزراعة اليهودية .

ان تلمسه من الجدول رقم (١) والجدول رقم (٢) . فمن الجدول رقم (١) يتضح ان ثلثي مساحة الارض العربية المزروعة تزرع غلال ومحاصيل حقلية . وهذه زراعية لا تشترط وجود نظام واسع من الري ، اذ انها تستطيع الاعتماد بشكل او باخر على مياه امطار الشتاء وما تختزنه التربة في فصل الشتاء من مطوية (١٢) . ففي عام ١٩٧٣/٧٤ بلغ مجموع ما زرع منها ٦١٩ ألف دونم من اصل ٨٨٥ ألف دونم ، الذي هو مجمل مساحة الارض العربية المزروعة . وقد زرعت معظمها قمحا وشعيرا .. اذ بلغت مساحة الارض المزروعة قمحا ٣.٩٩ ألف دونم ، وشعيرا ٢٢٩٤١ ألف دونم . وتكاد تكون زراعة القطن والتبن المجفف معدومة كليا في الزراعة العربية ، لان هذه الزراعة تعتمد على الري أولا (١٤) وعلى المكثنة في حالة القطف والثروة الحيوانية في حالة التبن المجفف .

اما اشجار الفاكهة فلم يزد ما زرع منها من الدونمات عن ١٤٤٤ بالشئة من مجموع الارض العربية المزروعة ، اي ١٣٠ ألف دونم ، منها ٨٢ ألف دونم زيتون و ١٦ ألف دونم كروم عنب ، وهاتان زراعتان لا تعتمدان على الري .

المزروعة خضروات وبطاطا في عام ١٩٧٣/٧٤ ٨٢٤٥ ألف دونم ، انتجت ٨٥ ألف طن من مختلف انواع الخضروات . وبالمقابل بلغت مساحة الارض (اليهودية) المزروعة خضروات وبطاطا ١٩٥ ألف دونم ، انتجت ٥٦٣ ألف طن . اي ان الدونم الواحد خضروات في الزراعة اليهودية انتج بين ٣ - ٤ اضعاف ما انتجه الدونم الواحد في الزراعة العربية . فحيث يتوفر الري يمكن زراعة الارض مرتين او ثلاث مرات في السنة .

كذلك فان انتاجية الدونم الواحد من القمح والشعير وبذور نوار الشمس ... وغيرها في الزراعة اليهودية تتراوح بين ضعفي وثلاثة اضعاف انتاجيته في الزراعة العربية :

	زراعة يهودية	زراعة عربية
	كغم / الدونم	كغم / الدونم
قمح	٢١٥	١٣٥
شعير	٢٦٥	١٣٠
نوار الشمس	١٣٠	٨٠

بنية الزراعة العربية

ولكن كيف ينمكس هذا النقص الكبير في مخصصات المياه للري على بنية الزراعة العربية من حيث اصنافها ؟ هذا هو ما يمكن

١٤ - بلغت مساحة الارض المزروعة قطنيا في عام ١٩٧٣/٧٤ ٤٢٥ ألف دونم ، منها ٣٣٣ ألف دونم ربا ، ومساحة الارض المزروعة تبنا مجقفا ٤٧٣ ألف دونم منها ١٧٤ ألف دونم ربا .

١٣ - بلغ مجموع ما استهلكته الزراعة في عام ١٩٧٣/٧٤ من مياه مليارا و ١٦٠ مليون متر مكعب ، استهلك قرع اشجار الفاكهة منها ٤٦٠ مليون متر مكعب والغلال والمحاصيل الحقلية ٣٨٠ مليون متر مكعب . أما الخضروات فاستهلك ١٢٠ مليون متر مكعب .

[illegible]

شلال وعاصيل حلبة	قمح	شعير	السرغوم (آ)	الفطاني	القطن	شمندر السكر	التبغ	نوار الشمس	بن جلف	سماد اخضر
لج زي	لج زي	لج زي	لج زي	لج زي	لج زي	لج زي	لج زي	لج زي	لج زي	لج زي
٣.٩٤٩	٨.٦٥٤	٢٩٤١	٥٠٢	٩٠١	٧١٠١	٨٢٤٢	٤٥	٢٥٠٦	٢٤١	٢٢
١٥٠٢	—	٧٢٤٨	٥٤٨	٢٨٤٧	٢.٤١	١.٤٥	٤٥	١.٤٥	٢٤١	٢٢
١٥٠٢	—	٧٢٤٨	٥٤٨	٢٨٤٧	٢.٤١	١.٤٥	٤٥	١.٤٥	٢٤١	٢٢
استجار (م) فاكهة	حب لؤلؤ	حب للنبذ	سوز	زيتون	لوز وجوز	فاحيات	لوزيات	اصناف اخرى (م)		
لج زي	لج زي	لج زي	لج زي	لج زي	لج زي	لج زي	لج زي	لج زي	لج زي	لج زي
٢	١١٢	١٥	١٧	١	٥٠	—	١٩	٨٢	١٧	١٥
٢٤	١١	٢٩	٦	٥٤	١	٧٠	١٠	١٧	١٥	٢٤
خضروات وبطاطا	بنفشرة	خيرار	جزر	شلل وقامبا	بصل جاف	بالانجان	كوسا	ملوف	توت ارضي	بطاطا
لج زي	لج زي	لج زي	لج زي	لج زي	لج زي	لج زي	لج زي	لج زي	لج زي	لج زي
٢٢	٢.٠٢	١٩	١٣٤٤	١٩	١٣٤٤	١٩	١٣٤٤	١٩	١٣٤٤	١٩
٥٦٤	٤٥	١	٢٤٢	٤١	٢	٥٥٥	٢٠٦	٢١٢	٥٤٢	١٩٤٧
٥٦٤	٤٥	١	٢٤٢	٤١	٢	٥٥٥	٢٠٦	٢١٢	٥٤٢	١٩٤٧

المصدر : كتاب الإحصاء السنوي لعام ١٩٧٥ ، ص ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٦٢ .

ازع = زراعة عربية ، زى = زراعة يهودية .

٢ - السرموم هو نبات كالدرة يستخرج من بعض الواحه غير سكري ويستخدم بعضا في انتاج الكائنات والفراشي .

٣ - المعطيات عن السجل الفاتكة في لعام ١٩٧٤/٧٥ ، أما الخضروات والفلافل فهي لعام ١٩٧٣/٧٤ .

١ - مثل الخروب .

ويتضح من الجدول رقم (٢) ان زراعة الموز معدومة في الزراعة العربية . كما ان زراعة الحمضيات تكاد تكون معدومة .. وهي حيث تنوجد فعلى الغالب للاكتفاء الذاتي .. في حين كانت هذه الزراعة قبل عام ١٩٤٨ تشكل احد الفروع الزراعية الاساسية في الزراعة العربية في فلسطين .. ولكن جميع البهارات العربية اما انها صودرت او انها خربت واستبدلت بزراعة أخرى .

ومع ان مساحة الارض المزروعة خضروات وبطاطا في الزراعة العربية لا تزيد عن ١٢ بالمئة من مجمل مساحة الارض العربية المزروعة الا ان نسبتها الى مجمل الاراضي المزروعة خضروات في البلاد عامة تصل الى ٢٥ بالمئة ، والى ٤٠ بالمئة من مجمل الاراضي المزروعة خضروات في الزراعة اليهودية . ومن الواضح ان لذلك اسباب عديدة ، اهمها انها تحتاج الى ايدي عاملة كثيرة ورخيصة .. ومثل هذه الايدي متوفرة في القرى العربية .. وهي لا تتطلب مكثنة واسعة ورأس مال كبيرا مشل

الفروع الاخرى .. ويمكن زراعة معظمها بعلا ، ولكن مرة واحدة في السنة . اما حيث يوجد دي يمكن زراعة الارض مرتين وثلاث مرات .

وتحتل زراعة البندورة المكان الاول في الزراعة العربية ، تليها زراعة الخيار فالبصل الجاف ، فالباذنجان فالفلفل فتوت الارض .

الثروة الحيوانية

ان مصير الثروة الحيوانية في الزراعة العربية في اسرائيل لم يكن احسن حالا من مصير الارض . ولقد الخقت سياسة الحكومة الرسمية تجاه الاهل العرب في هذه البلاد اضرارا كبيرة بالثروة الحيوانية في القرى العربية .. اذ نتيجة لقيام السلطات بمصادرة القسم الاكبر من الاراضي العربية والمراعي منها بشكل خاص لم تتطور الثروة الحيوانية في القرى العربية بصورة ملموسة . ويظهر الجدول التالي حجم هذه الثروة في الاعوام ١٩٦٩ و ١٩٧٢ و ١٩٧٤ ، بالآلاف :

ماعز ابيض	ماعز اسود	طيور
٧٤٥	١٠٢	٢٥٠
٧٤٥	١٠	٢٥٠
١٠	١٠	٢٥٠

يستدل من الجدول انه في الفترة بين ١٩٦٩ و ١٩٧٤ انخفض عدد الابقار في الزراعة العربية من ٢٧ ألفا الى ١٩ ألفا والماعز الاسود بنسبة حادة جدا من ١٠٢ ألف الى ١٠ آلاف . اما عدد الاغنام فارتفع من ٧٩ ألفا الى ٩٤ ألفا . ومن الجدير بالذكر ان نوعية الابقار والاغنام وكذلك الماعز في الزراعة العربية لا يمكن مقارنتها مع النوعية في الزراعة اليهودية من حيث انتاج الحليب واللحوم ، وذلك لاسباب عدة تتعلق بنوعية هذه الثروة وبالمراعي والتغذية والعناية

وخبرة المشرفين عليها . ففي حين يشرف على هذه الثروة في الزراعة اليهودية رعاية اخصائيون والمراعي موجودة بكثرة وقريبة ويجري علفها جيدا ويتم الحلب بالآلات يشرف على تربية هذه الثروة رعاة في معظمهم اولاد او اميون ، كما ان المراعي بعيدة وقليلة جدا . وفي حين تقدم السلطات كل مساعدة وتوجد كل الشروط اللازمة لتنمية تربية الطيور (للحوم والبيض) في المستوطنات اليهودية تعاني هذه الثروة من اهمال كبير في الزراعة العربية ولا تجسد أي تشجيع من

السلطات .

مصاعب ومكاسب

لكن أزمة الزراعة العربية لا تقتصر فقط على فقدانها الأرض والنقص البالغ في مخصصات المياه (انظر الجدول رقم ٣) وانعدام المراعي والشروط الملائمة لتنمية الثروة الحيوانية . ان أزمة الزراعة العربية في اسرائيل تمتد لتشمل قضايا مثل النقص في التوظيفات المالية ، لقلة مداخيل المزارعين العرب وقلة المساعدات المالية الحكومية والخاصة مثل القروض والتسليفات والهبات والسوسيديا والتعويض في حالات الجفاف والكوارث الطبيعية الاخرى . وتشمل ، كذلك ، مجال الارشاد الفني والمكننة ومبيدات الحشرات والتميز في الاسعار وفي التسويق . وتشكل زراعة التبغ العربية مثالا صارخا على أزمة التسويق . ف شراء التبغ تحتكره شركة « دوبيك » . وهذه الشركة تحدد تصنيف التبغ على اساس الجودة ، بما تضمن لها ربحا عاليا ، وتحدد سعر المنتج كذلك . وقد قلصت السلطات زراعته بنسبة كبيرة منذ اواسط الستينات . فانخفضت مساحة الأرض (العربية) المزروعة تبغا من ٤٠ ألف دونم في عام ١٩٦٦ الى ٢٢ ألف دونم في عام ١٩٦٩ والى اقل من ١٠ آلاف دونم في العام الماضي . ويهدد هذه الزراعة خطر التصفية .

وقد عانى مزارعو قرى البطوف وطمرا وعبلين وشفاعمرو في السنوات القليلة الاخيرة من مشاكل حادة في تسويق منتجاتهم من بصل (الغرانو) و (الاوري) والبندورة للصناعة . ويتعرض مزارعو الطيرة وقلنسوة وكفر قرع ودير السكة وغيرهم من مزارعي المثلث ، بين الحين والآخر ، لتعسف الشركات الاحتكارية ، مثل غريسكو ، التي تحتكر تسويق توت الأرض والسالري في هذه القرى . غير ان الزراعة العربية تمكنت بفضل جد

المزارعين العرب وتضحياتهم من تحقيق نجاحات ومكاسب هامة . وتعود بنفع كبير على الاقتصاد ، عامة في البلاد . اذ نجحت في ادخال عدد من الزراعات المدة للصناعة والتصدير مثل توت الأرض ، حيث تنتج قرينا الطيرة وقلنسوة قرابة ٩٠ بالمئة من مجمل انتاجه في البلاد ، والسالري والبصل (للتصدير ايضا) والبندورة للصناعة . كما انها تنتج ٨٧ بالمئة من انتاج التبغ في البلاد ، مما يوفر على الدولة عملة صعبة ، و ٦٠٪ من انتاج الزيتون و ٢٠ بالمئة من انتاج الحبوب و ٩٢ بالمئة من انتاج السمسم و ٤٠ بالمئة من انتاج نوار الشمس ومثل هذه النسبة من البندورة ايضا ، و ٢٠ بالمئة من انتاج الخضروات عامة . وقد بلغت قيمة الانتاج الزراعي العربي في عام ١٩٧٢ / ٧٤ اكثر من ٣٠٠ مليون ليرة ، او ٦ بالمئة من قيمة الانتاج الزراعي في البلاد .

وتستطيع الزراعة العربية ان تسهم اسهاما جديا في تطور الزراعة عامة في البلاد ، وذلك شريطة ان توقف الحكومة ، حالا ، كل مشاريع مصادرة الأراضي العربية ، ان تكن زراعية او غير زراعية ، وان تعيد الى ملكية القرى العربية والفلاحين العرب الأراضي التي صودرت ، خاصة التي لا تزال ضمن نفوذ القرية ، وان يجري اصلاح الارض الوعرة بمساعدة الهيئات والمؤسسات الرسمية المختصة وتوزيع هذه الأراضي المستصلحة على القرويين العرب ، والسماح لاصحاب الماشية باستخدام المراعي القريبة من القرى العربية والتي تحظر دائرة اراضي اسرائيل عليهم دخولها ، وشريطة ان تتوقف نهائيا كل معالم التمييز المجحف اللاحق بالزراعة العربية ، في حق الري والتسويق وتحديد الاسعار والتسليف والارشاد الفني ... وغيره .

ويستطيع المزارعون العرب بوحدتهم

أين سخنين ، عرابة ، كفر كنه ؟
أين بحر البقر ؟
أين يا اخوتي دير ياسين او كفر قاسم ؟
أين يا اخوتي نور شمس ؟
أين يا اخوتي عين جالوت او ميسلون ؟
أين ؟

لا نسال !

أين ؟

لا نجعل !

نحن لا نجعل الفرق يا اخوتي
بين معرفة الدم ، والمعرفة
نحن لا نسال الخارطة
دمكم وحده الخارطة
ليس للنقب او للجليل
دمكم شارة في الطريق الطويل !

عندما يفقد الزمن النذل اعصابه
عندما يفتح الموت ابوابه
تنتخي اختنا ، يرتخي المستحيل
ويصبح العذاب الفتى المعجوز :
اعناوينها شفرة (ايها الموت خذ بيدي)
لدمي شفرة ..
فانهضوا !

حكمة الدم يا فتيتي ان يسيل !

(تنقذني من موتي البسمه
يا وطني تنقذني البسمه
حين ارى اطفالك في الساحات
شررا يحرق اعصاب الدبابات
حين ارى اطفالك
يلقون قشور الموز على الطرقات
فمسي ولعل
يتزحلق علق من جيش المحتل !)

يا له من عماس
ان تداس الشفاه التي اقسمت
انها لن تداس .

ان ينظم الفلاحون أنفسهم في لجان تصيغ مطالبهم العادلة والمشروعة وتدافع عن حقوقهم القومية واليومية . فكما ذكرنا ان قضية الزراعة العربية ليست قضية اقتصادية واجتماعية ، فحسب ، انما قضية وطنية من الدرجة الاولى . ومن هنا اهميتها الخاصة .

ويتفهمونهم وكفاحهم احراز نجاحات جديدة ليس فقط في مجال تحسين اوضاع الزراعة العربية ، انما اولا وقبل كل شيء ، في القضاء على التفرقة القومية في الميدان الاقتصادي عامة ، وفي الميدان الزراعي بشكل خاص . وتتطلب اوضاع الزراعة العربية ، التي استعرضنا بعضها في هذه المقالة ،

جدول رقم ٣

استهلاك المياه في الزراعة عامة وحصة الزراعة العربية منه بملايين الامتار المكعبة :

السنة	مجموع استهلاك المياه في الزراعة	في الزراعة العربية	بالمائة
١٩٦٢	١٣٧٣	١٠	٠.٧٣
١٩٦٥/١٩٦٤	١٣٢٩	١١	١٤٠.٢
١٩٦٧/١٩٦٦	١٤٧٤	١٤	١
١٩٦٨/١٩٦٧	١٤١١	١٥	٠.٩٩
١٩٦٩/١٩٦٨ (١)	١٥٣٧	١٧	٠.٩٨
١٩٧٠/١٩٦٩ (٢)	١٢٤٩	١٨	١٤٤٤
١٩٧١/١٩٧٠	١٣١٩	٢٠	١٤٥٢
١٩٧٢/١٩٧١	١٢١٠	٢١	١٤٧٤
١٩٧٣/١٩٧٢	١٢٩٧	٢٣	١٤٧٧

المصدر : ١ - معطيات الاعوام من ٦٥/١٩٦٤ حتى ٦٩/١٩٦٨ من كتاب الإحصاء السنوي لعام ١٩٧٠ .

٢ - وما تبقى من نشرة شعبة الشؤون العربية في المجلس الشعبي للرخصاء الاجتماعي ، التي صدرت في شباط ١٩٧٦ .

احمد ناظم

قاعدة المثلث

قصة

فطن الى انه ليس ضائعا كالمعتاد ، استغرب ذلك بل واحس حتى بشيء من القلق ، ان احساس الانسان لا يمكن ان يتبدل بهذه السرعة فهذه ليست الا تجربته الثالثة ، واذا كانت الامور قد سارت بسهولة في المرتين السابقتين فلا يعني هذا انها ستسير بنفس السهولة في هذه المرة ايضا وان الامر كان مجرد حقل فقط ، وهو يدرك الان تمام الادراك ان الحظ شيء لا يمكن الاعتماد عليه ، بل انه ليضر على انه من اكثر الامور قدارة وفوضوية في هذه الحياة . فما معنى هذا الاطمئنان او هذه الاملالة اذن !

والاغرب من هذا كله ان الامر برمته يبدو الان وكأنه فقد اهميته بالنسبة اليه ، انه الان لا يحس بتلك الاثارة التي كان يحسها كل مرة قبل الاقدام على العمل . ويبدو انه لن يحس ايضا هذه المرة بذلك الامتلاء الزاخر بالرضا والثقة والجنس والحب لكل الاشياء والذي كان يحسه عقب كل عمل من هذا النوع .

حتى ذكريات البارحة على عنفها لا تثير فيه الان سوى احساس ثمين كالذي يحسه الان في يده اليمنى .
..... قالت أمه :

— لماذا نحن دون غيرنا ! واحد في التراب وواحدة في السجن والثالث بينهم .

وقال واحد عن الطاولة التي عن يمينه :

— ميرميه من فضلك ! سكر زيادة .
كانوا ثلاثة . ملامحهم مختلفة الى حد بعيد ولكنهم مع ذلك متشابهون .
والى حد بعيد ايضا .

ونظر في ساعته بينما امه تقول بصوت مليء بالعذاب :
— انها خدعة ! واحد يموت ، ومئة يتزوجون !
وقام واحد من الثلاثة وتبادل عبارة غير مسموعة مع صاحبيه اتبعها
بإشارة في اتجاه المرحاض الوحيد القائم في طرف الحديقة ومضى .
ومرة أخرى نظر في ساعته ثم الى الشارع باتجاه اليسار ولاحظ انه يجب
أن يغير من وضعه قليلا ليجنب نظراته الطربوش الذي كان يحجب قطاعا منحرفا
من الشارع ينهي عند النقطة المهمة بالذات . ولكن الامر لم يكن سهلا ،
فالطربوش لم يكن ثابتا على وضع واحد . كان ينحني ويستقيم ويتأرجح مع كل
جملة يقولها صاحبه لزميله . ولاحظ أن الوجهين هنا ايضا متشابهان رغم
الفروق الصارخة بينهما ، تماما كالوجوه الثلاثة الأخرى التي عن يمينه .
وضحك من نفسه .

وقال الطربوش :

— لا يمكن السكوت على هذا ! يجب أن يكون هناك شيء من العدل .
للاحتلال ايضا قوانين يجب أن يتقيد بها ، وقد قات ذلك منذ البداية دون أن
أخشى احدا .

وكان قطاعا شبحا بالفضب لهذه التآرجحات الحمراء المتكررة ، ولكنه
كان غريبا على نفسه اليوم . سحب كرسيه الى الخلف . بحيث أسندها الى
جذع الشجرة الضخم ثم قرب الطاولة اليها وجلس تاركا الكرسيين الآخرين
في مكانهما المعتاد قرب الطاولة سوى خوفه من أن يلفت ذلك نظر أولئك الذين
عن يمينه أو أولئك الذين عن يساره . وأصبح الآن في وضع ملائم بحيث يكون من
مكانه مثلثا متساوي الساقين مع الطاولتين الآخرين ، ولم تعد بهلوانيات
الطربوش الأحمر تعيق مراقبته .

وقالت الطاولة اليمنى :

— شفيتم !

— عوفيتم !

وفطن الى أن يده اليمنى ليست في مكانها الصحيح قدسها في السرداب
العميق الممتد من فتحة جيبه الى ما بين فخذه حيث التفت هناك على ذلك
الشيء الصلب المستدير كبرتقالة صغيرة .

... أقت أمه القميص بعنف من بين يديها دون أن تنزع منه الإبرة
وقالت :

- لو فعل واحد من كل عشرة ملثما نفعل لما كان هناك احتلال الان ، ومع ذلك فانت لا تريد ان تفهم ! لقد كنت انا التي دفعتكم الى كل هذا ولكنني احس الان انه ... يكفي ! لا اريد حتى ان ابصق مقابل لا شيء .. لقد تعلمت درسا .

وقالت الطاولة عن يساره :

- قلت اكثر من مرة ! يجب تقديم عريضة موقعة الى السلطات ، وتبرعت ان اقوم بتقديمها بنفسى ، فماذا يريدون منى اكثر من ذلك !

- نعم ! حدث ! ولكن اين تجد من يجرؤ منهم على التوقيع !

- يجب ان يوقعوا ! وساقول للحاكم العسكري بنفسى انه لن يكون بإمكاننا تهدئة الخواطر ما لم يطلقوا سراح الموقوفات .

- وماذا عن التصاريح ؟

..... واستمرت امه :

- انهم لا يكتفون بالسكوت . يطالبون بالعدالة ! لا تريد ان تفهم !

وسمع صوته ايضا يقول :

- انك على حق ولكن موافقهم لا تزمنى .

- موافقهم يلزم اللعبة باكملها ، وهذا هو اسوأ ما فى الامر . اذا حاولت ان تلعب لعبتك الخاصة فنسوف تصبح مجرد بطل ... ومن يريد ذلك !

- دعهم يتضمون اليك ولا فلا فائدة من اى شيء . انها قضية اكبر من الافراد ... قضية شعب ! يجب ان يكون هناك بديل لمجرد البطولة .

انه لا يفهم .

- وانا ايضا لا افهم ! انها المأساة الحقيقية لنا .. اكثر حتى من الاحتلال :
والاحسن بهذا .

الساعة الثالثة تقريبا . انهم يمرون بمعدل مرة كل نصف ساعة تقريبا ... ولكن لا همية لك فإلسافة بين انقطعتين تكفى لكى يستعد . واذا استمرت حركة السير بهذا المعدل فسيكون عمله اسهل .

وفطن الى الطاولة التي عن يمينه وهي تقول :

- ... وكنت فى طريقك الى المسجد ، صلاة ، وحدث ان دلفت امرأة ما سائلا الى الشارع واصاب ثيابك منه شيء فكيف تفعل ؟ انك لا تعرف ماهية السائل نجاسة هو ام لا .. فهل تجدد وضوءا ام تصلى بغير ذلك ؟

- الامر واضح . اسأل المرأة !

- اتوضأ . ماذا يقول الاستاذ ابراهيم ؟

- يغلب ان ما تدافقه النساء من ماء أى الشوارع يكون فيه نجاسة من براز طفل او دم حيض او

واحتدت الطاولة اليسرى لأول مرة :
- انه كذاب منافق ! لقد اخلي المستوطنون بفضل احتجاجنا فقط .
- سمعت انه اتصل بالملك مؤخرا .
..... وغطى صراخ امه على كل شيء :

- قال لي ان ابنه جاء مع زوجته ضمن الزيارات الصيفية ، وذهبا في اليوم التالي لزيارة تل ابيب وحدث لهما الحادث في طريق العودة . وكان يتحسر ان ابنه كان ينوي زيارة الكثير من الاماكن اثناء مدة اقامته ووعد بان يعطيني نصف عمره اذا شفيت ابنه . وتمنيت من كل قلبي ان يموت الابن ولكنه شفي وغادر المستشفى أمس في موكب مهيب .. انهم لا يموتون حتى ولو مرغمين .. وهم دائما على استعداد الاستفادة من كل شيء ... حتى من انتصارات العدو .

واحس بيده اليمنى تصبح لزجة ، فارخى قبضتها من حول ذلك الشيء الذي تمسك به وجففها بقماش جيبه . ثم عاد يستمع الى صوت امه الخافت هذه المرة ... صوت متخثر الثبرات وكأنه صادر عن آلة تسجيل ، بارد ولكنه مرير ومدعور :

- شيء لا يكاد يصدق ! يبسدون وكان شيئا لم يتغير من حولهم على الإطلاق . وفاق تام مع كل شيء ... مع الواقع ومع الآتي ايا كان نوعه . الضحكات ذاتها ، التعابير المسترخية ذاتها ، العيون ، الاصوات ، الملابس ، الاحذية ، الرائحة ، الاقبال على كل شيء ، واكثر من كل شيء الفرح ... الفرح اعفوي امام كل لحظة حظ نافذة ... الفرح الحقيقي الطارج امام بضعة قروش .. امام اغنية او لعبة « زهر » ... وحتى امام لا شيء ، امام مجرد غياب الام وكانهم يخشون ان يفارقوا فرحهم . حتى رجالات عمان الفارغة لم يفقدوا اهتمامهم بها ... زملائي الاطباء يتبادلون النكات ويتحدثون عن آخر اخبار القصور الملكية : الملك اندر امه ان تقطع علاقتها بالدنسة بابنها . الاميرة فلانه اصببت بانهييار عصبي بسبب السفير الفلاني ، عيد ميلاد الاميرة ...

وقال اليمين بخشوع :
وكنتم خير امة اخرجت للناس ، صدق الله العظيم .
- صدق الله العظيم .
- صدق الله العظيم .
... واستمرت امه :

- لا . شيء لا يصدق ! ليحتلوا المزيد من الارض ! وليهرق المزيد من الدماء ! نحن بحاجة لذلك اكثر من اي شيء آخر .
ومرة اخرى احتد اليسار :
- على الاقل لم يسوقوني كالحمار الى تل ابيب لافتتح معرضاً للرسم

التجريدي .

— وماذا يفهم الخصي في مسائل التجريدي ؟
— وهل يأخذونه لو كان يفهم ؟

وهبت كل مشاعره دفعة واحدة ، وأحس بجلده يمتليء بشيء كالهواء الساخن حتى ليكاد ينفجر ... لقد ظهرت النقطة السوداء عند النقطة البعيدة ، وخيل إليه أنهم يسمعون دقات قلبه حتى من ذلك البعد ، ماذا حدث له ؟

ومع ذلك كان كل شيء يسير كالعادة وبهدوء ظاهري تام . قام من مكانه كالآلة ، أخفى نصف جسمه وراء الجذع الضخم ، أخرج القبلة ، حرر حلقة الامان ، ضغط الجسم المستدير بشدة ، وانتظر .

فوهة المدفع السوداء اكبر من المعتاد وأقرب من المعتاد ومصوبة اليه تماما ، جلد جبهته يتقاص استعدادا لاستقبال الطلقات . لن يحس بشيء ، فقط سيموت . كل شيء حوله ثخين ، حتى الهواء أصبح كضماكات فطنية مشدودة حول جسده ... الفوهة تكبر اكثر وتقرب اكثر وتلتهم كل وجهه فيحس بأنفاسها تلفه كقمامة ساخنة ، وينتظر .

تنحسر الدائرة السوداء الكبيرة عن وجهه وتعود اليه الرؤية وتمضي العربية المصفحة تجر صوتها وراءها .

لقد انتهى كل شيء ، والقبلة هي الآن التي تنتظر . ويرد كاله فجأة ، وأحس بتفتح حواسه كأنسان يخرج من تحت الماء . لقد هزم .
كان يجب أن يفهم ذلك منذ البداية ، انه لم يكن خائفاً لانه كان قد قرر ان يهزم .

واستولت عليه نقمة مجنونة .

السيارة المصفحة غابت عن الانظار وتركت خلفها شيئاً كالمدهول يلف كل شيء .

أما الشيء الذي في يده فقد كان لا يزال ينتظر .

وفجرت الهزيمة مرة أخرى . كيف حدث هذا ؟

وتأرجح الطربوش الاحمر عند زاوية عينه اليسرى كملاء حمراء .

وعن اليمين قالوا :

— الحمد لله !

— وفجأة فهم كل شيء . انه لم يهزم . اللحظة لا تزال تنتظر . لم يكن الخوف هو السبب ... الرؤية فقط . لم يكن كل شيء واضحاً كما هو الآن .

وتذكر رغما عنه العمود النازل من الراس على منتصف القاعدة وقذف بالقبلة ، واستدار خفيفاً ممثلاً كقمامة ملأى بالمطر .

الثلث

قصة قصيرة من ليننغراد
بقلم - مايا دانييني
ترجمها - عفيف صلاح سالم

الكيس الغامض

الشقة الجميلة المضيئة تحولت في لحظة الى شقة مظلمة مليئة بالزجاج والسطايا .. في لحظة تحولت الى شقة باردة مرعبة لا حياة فيها . حتى انه لا يمكنك ان تتصورى ان الشقة التي ادفاكك واسعدتك منذ لحظات تحولت الى سرداب مليء بالقمامة والزجاج والبرد .. الشقة التي لمعت بالواح الزجاج ، والتي ازهرت بالورود المفتحة عبر الشباك ، هذه الورود الحمراء الجميلة كالسنة اللهب اختفت فجأة .. وبقي فقط السرداب حيث قدم اناس غرباء ، يتجولون هنا - لماذا هؤلاء الغرباء هنا؟! لا احد يعلم من اين هم ، ولاي هدف قدموا .. ولكنهم يفتشون الارض ، المايئة بحطام الزجاج ، ليناموا ... كل هذا يجري ، وكانك في حلم او في هلوسة .. انت ترين هؤلاء الناس ينامون هنا ، حتى في فراشك ، ينامون بلا انتظام وخالئك تقول لك : « تحركي ، افسحي لهم مكانا » ... وتتحركين فاسحة لهم مكانا ، وتنامين . وعندما تستيقظين ترينهم هنا . ولكن الشباك مذبوح بالظلمة ، وهؤلاء الغرباء يعدون طعاما ما فوق موقد صغير مشتعل .

هؤلاء الناس يشيرونك في البداية - لماذا هم هنا؟! وليسوا في بيوتهم؟! وبالتدريج تعتادين اليهم ، حتى انك تبدئين بحبهم وتفكرين عند غيابهم ، اين هم؟! وتتساءلين - اين افسيانيكوف؟! اين البروفيسور راديسونوف؟!

وباتيكونف؟! افسيانكونف فى المصنع ، باتيكونف - وقاد ، اما راديونوف فيعمل
بتعبير ادق انه الان لا يعمل كاية . انه يفرش فراشه على الارض ، وينام واضعا
راسه على مخدة متدرة ، ومن تحت المخدة يضع كيسا مليئا بشيء ما ...
ماذا يحوي هذا الكيس؟!

المين الجائعة تلمح كل شيء صالح للاكل .. وتتعرف عليه حتى فى قاب
الظلمة . الكيس مليء بما يؤكل .. يمكن سلقه وأكله . يعرف الجميع ان لدى
ايفان ميخائيلوفيتش راديونوف تحت المخدة كيسا مليئا بما هو صالح للسلق
وشهى .. ولكنه لم يعرض علينا ما لديه ، على العكس حاول اخفاء ما لديه ،
وطوال الوقت حمل الكيس معه ... ماذا هناك ، اتراه سكر؟! حلوى ، أم أرز؟!
آه لو امكن تحسسه بالايدي .. ولكن ليس بإمكانك اختيار اللحظة الملائمة .

وحدث مرة ان ترك ايفان ميخائيلوفيتش الكيس فى مكانه .. رايت كل
هذا ، وعلمت ان الكيس بقى فى مكانه ، اما صاحبه فخرج . وفى لحظة قفرت
من الفراش ، ومددت يدي الى الكيس الموضوع تحت المخدة .. اخرجته
وتحسسته . كان هناك شيء ما مدور واملس يمكن تحضير مرققة منه . ليس
سكرا او أرزا او حلوى . من يعرف ؟ يمكن ان يكون حلوى .

كان الكيس مربوطا مرتين وموضوعا فى كيس آخر من الصعب فتحه ..
ولم افعل ذلك .. كنت فقط بحاجة للمعرفة ، هكذا لنفسى بالذات حتى لا افكر
بأنه يخفى الحلوى ، التي كان بإمكانه ان يمنحني اياها .. لاصفر الموجودين ،
او لابن باتيكونف الذي ضعف كلية واصابه الوهن . كان من المحتمل ان ارفض
عطائه ، ولكن اريد ان اعرف ما هناك ...

عاد راديونوف كانه لم يخرج الى اي مكان .. كان الكيس فى مكانه ، ولكنه
فهم بأننى تحسسته ، وبأننى افكر بما يحويه . لقد اراد ان يقول لي شيئا ما ،
وفتح فمه .. ولكن فى هذه اللحظة دخلت هينرييتا ميخائيلوفنا وخالتى ..
تحدثنا انه من الممكن تحضير الفطائر بالقهوة ، فهي اشهى من القهوة ذات
الرائحة التي تسبب الحرقلة .. تحدثنا انه ممكن سحق حبوب البن الخضراء
ومن ثم نقعها فى الماء ثم

تحدثنا بلا طعم حول امور ليست شهية بتاتا . شناعة مخيفة ومرعبة ،
اسوا بكثير من الفطائر المصنوعة بزيت السمك ، او حتى من الفطائر المصنوعة
من الصفتير .

اقدر ان اقول اننى احببت مثل هذه الفطائر ، فلها طعم المذيد ، يخيل
اليك انك تمرحين فى الحقل وصدفة تعلقين هذه الحبوب .. ولكنك عندما
تأكلين الفطائر بالقهوة يخيل اليك انك تتأعين العلقم قطعة اثر اخرى ، وتتركز
المرارة فى الفم .

فكرت بالكيس المخفي تحت المخدة ، وعندما خرج ايفان ميخائيلوفيتش اخبرتهما بأمر الكيس ، وقلت انني تحسسته وفهمت انه يحوي اما الحلوى أو شيئاً ما آخر المذاً . ونظرنا الى نظرات موبخة - تحسسته ؟! أهذا مسموح ؟! ممنوع .. اعلم ان هذا ممنوع . ولكن هل مسموح ان تخفي عن الجميع شيئاً ما يؤكل في الوقت الذي تأكل فيه ما هب ودب .. ونعد المرق للجميع من ماعقتي حنطة وقطعة بصل وبعض الملح . تنتظرين هذه المرق متى يعطونك اياها .. وتفقدين صبرك ، فتسألين متى يعطونك المرق ، ولكنهم يحجبونه عنك ... ولا يجيبون .

وتلتقي نظراتهما ، ثم تنظران الى نظرات لها معنى .. سدى لعب أمامهما دور الطفلة . التي تنتظر المرق ، لانها تريد ان تأكل - آه ابنتها الطفلة المسكينة .. كنت افهم تنهداتهما بسببي ، فاضرم هذا التنهد لابرر تصرفي . انهما تتفهمان موقعي ولهجتي فتسامحاني .

كاذت نظراتهما تشابك لتقول احدهما للآخرى : « مسكينة هذه الطفلة الجائعة .. فالوضع بانسبة لها اقسى ... » ، ولكن في الحقيقة لم تكن ظروفني اقصى من ظروفهن لانني منحت سعادة العيش ، هذه السعادة التي تعيش في داخلي رغم الجوع والبرد وما يحيط بي . منحت هذه السعادة ، بينما اقتلع من ايديهن الشيء الاخير . فهمت هذا في الماضي بشيء من عدم الوضوح ، أما الآن فاني افهمه جيداً .. آه كم اتفهم هذه الامور الآن !!

مرت الايام ، وكيسي المليء بالحوى لا يمنح هينرييتا وخالتي وباتيكوف وافسيانيكوف النوم بهدوء . الكيس لا يمنحهم النوم - ان هذا بسببي .. فأنا التي جررتهم ، واجبرتهم على التفكير بما يحوي الكيس .. انا التي اخبرتهم بانه يجب اعطاء الحلوى للاطفال .. انا التي بنت هذه المأساة .

مرت الايام والليالي يتعاقب في احاديث سلمية حول امور عديدة . لم يحدث ان تطرق الحديث الى الطعام والبرد ، الحرب والقصف الجوي . كانت هذه الاحاديث ممنوعة لم يتطرق اليها احد .. لم يتحدث احد منا حول البرد وما سيأتي به المستقبل .. فقط افسانيكوف ، الرجل ذو القامة الطويلة ، والذي عانى من الجوع اكثر من غيره ، كان يسمح لنفسه ان يقول بصوت مأساوي :-

- رباة لماذا اسقطت القنبلة بالذات في المطبخ ، ودمرت عتبة كاملة من العدس ؟ . ليست هذه بعدالة ان تحرمني وتحرمنا جميعاً من عتبة كاملة من العدس .

قالت هينرييتا : قصاصاً لك . قص علينا نكتة !

وقص افسانيكوف علينا نكتة عن الطبيب الذي داوى صينياً من داء الصفرة ، اذ فهم اصفرار البشرة كنتيجة لمرض الصفرة .

كان افسانيكوف قاصا بارعا للملح . فبالامور العادية بمفارقاتها ، وباسلوبه في اطالة الجمل البسيطة ، وبالألف والدوران يقضي على صبر السامعين . بعد ان ينال مطلبه كان يلخص النكتة بكلمة واحدة يقولها بهمس . كان الجميع يتفجرون بالضحك اما هنرييتا فتقول : الضحك حتى الدموع كالشاي بالايمون .

— مدام . . ان التذكير بالشاي يفرض عليك مهمة ما ! قال ايفسان ميخائيلوفيتش مشددا على مقاطع كلمة « مدام » . وروت هنرييتا حادثة لا تخاو من روح النكتة ، حادثة طويلة مايئة بالانتقال من موضوع الى آخر ، وبالقفز من النهاية الى البداية ، واضافت : طوال الوقت كان اخوتي يقاطعونني ليرووا الاحاديث بدورهم ، ثم فعل زوجي الامر نفسه . ولهذا حتى الان لا يمكنني الحديث بشكل طبيعي ، اذ يخيل لي ان الجميع يقاطعونني . . .

كان الجميع ، في الحقيقة ، يبترون حديثها ، حتى باتيكوف الهادي الذي ادهش الجميع مرة بنكتة عن الفرس التي اعتادت جلب الماء بدون صاحبها ، كيف انهي فجأة ، « واثناء الحريق احضرت صفيحة من الكاز بدلا من الماء » . قص هذه النكتة بمرح صارخ ، وضحك الجميع قائلين : منذ الان ستقص نكتتين بدل واحدة ، وبالمقابل سنعطيك صحننا اخر من المرق كتعبير عن امتناننا لك .

قص باتيكوف النكتة تاو الاخرى راجيا : « لا تقولوا هذه الكلمة . . نكتة » .

لماذا ؟!

لاني لا اريد رواية النكت الفاضحة . .

ومن جديد ضحك الجميع لان باتيكوف يربط معنى النكتة بامور فاضحة .

كان باتيكوف اقصر انسان في الوجود . يخيل اليك انه عبارة عن حذاء لبادي طويل وقبعة . او انه مكون من البنطال اللبادي والقبعة . كان نحिला جدا ، ضعيفا كحذاءه اللبادي ، ولكنه كان سريع الحركة ، وانشطنا . حاول طوال الوقت مساعدة الجميع ، اما بتفطيتهم بشكل اكثر دفئا ، او حتى انه كان على استعداد ليعطي قطعة خبز من حصته للآخرين . الخبز الذي قابلا ما كان يتوفر . . .

كان يمكن مشاركة الجميع كل شيء ، ولكن ليس قطعة الخبز ذات ال ١٥٠ غراما .

احب الجميع باتيكوف ، وبقدر اقل احبوا راديونوف ، اما هنرييتا فكانت تشير الاعصاب . .

عارنا فادح . حقننا فادح . والالم

هل بكينا ؟ اجل !

غير أن دموع الغضب

لهجة في بلاد العرب

فاسمعي يا جميع الامم

موتنا جملة كاملة

فلتفك الرموز معاً

ولتكن بثرنا راحة القافلة

بثرنا ؟

بحثة الموت في صوتنا

صوتنا ؟

يعلم الله يا صاحبي !

يعلم الله يا صاحبي !

بين ليلين : ليل الهلاك وليل الهلاك

تقرع الارض اقدامنا الخافية

والضباع هنا أو هناك

ترصد الخطوة الباقية

غير أن الالم

لم يزل جاهزاً للقتال

والمطر

جاهز للقتال

فاسمعي واشهدي يا جميع الامم

(بالروح بالدم)

نفسك يدك يا وطن)

عندما اطلقوا النار صاح الشهيد :

اطلقوا النار كيف انتهيتم

طلقة .. طلقة .. وانتهيتم .

ثم غاص الشهيد

في مطاوي جذور الجدود

واستوى في ذرى مكة صائحاً :

وها أنا يا يوم القيامة عاطب

بيدوني وكس ويجمع لاذرب

تدثر اثواب الافاعي جوارحي

وينهشني هم من الروح ناصب

كانت اول كلماتها عندما قدمت اليها - « رياه ، اني في خيبة امل » . كان هذا الشعور مسيطر عليها نظرا لفقدانها دبابيس الشعر اثناء القصف الجوي . كانت دائما في مثل هذه الحالة ، وكثيرا ما اغضبت راديونوف ، الذي كان يتحاشاها في اغلب الاحيان . وعندما كانت هينرييتا تروي باسهاب حادثة ما كان راديونوف يقطب حاجبيه بالرغم من ان الجميع يقهقهون . حتى انه مرة قال :-

- انك امرأة تافهة .

قال ذلك بهدوء . وصمت الجميع . كان هذا ايضا اسلوبا ممنوعا في التعامل . كان على الجميع الصمت ، وتمالك الاعصاب . ولكنه لم يتمالك اعصابه .

وقال افسيانيكوف - اننا جد آسفين . ولكن كيفما يكن الامر يجب الاعتذار لهينرييتا ميخائيلافنا .

لم يصف افسيانيكوف ان هينرييتا امرأة مسنة فقدت زوجها وولديها في الجبهة ، وانها مشردة بلا حماية ، وانها بطبعها طيبة وصابرة .

وفجأة انفجرت انا التي لم تكن تحتل هينرييتا .

- وانت ، انت تخفي الحوى تحت المخدة ... ماذا لديك في الكيس .. حوى ؟!

وتنهذ راديونوف . وصمت طويلا ، اما هينرييتا فبكت بحرقة . ونطق راديونوف : هينرييتا ميخائيلافنا اقبلي اعتذاري . وبالإضافة الى ذلك اطلب منك ، بعد موتي ان تسلمي فقط هذه الحوى - وعندها اخرج الكيس - لتلميذي او لعامل المختبر ليزرعوها في حوض خاص وبسرعة . اني اختارك وريثة لهذه الحوى ...

وفتح الكيس باذرا فوق كفه حبات كبيرة وجميلة من الفاصوليا .

- هذه بعض البذور التي تمكنت من انقاذها ... من كل نوع هنا يوجد فقط عشر حبات .. لا تقدر بثمن . هل تفهموني ؟ ممنوع اكل هذه البذور .. لقد اضعنا عشرين عاما للوصول الى هذا النوع .. من البذور .. من الحوى .. كل حبة فاصوليا تحوي تلك الخصائص التي لا يمكن التوصل اليها بعد ذلك ، اذا اكلناها .. هل تفهمون ؟! انها حصيلة عمل سنوات عديدة ... الرجاء ، اذا مت ، ان تسلموها او تزرعوها للحفاظ عليها ... اتفهمون ؟! كتبت هنا كل شيء .. لمن تسامونها .. وكيف تزرع .. كل شيء مدون هنا ..

طال بنا الصمت ، ونحن ننظر الى هذه البذور . ومحا النسيان كلماته القاسية .. محا كل شيء ..

لم نلاحظ كيف اغفى ايفان ميخائيلوفيتش بعد ان ربط الكيس ووضعته تحت المخدة . فجأة اغفى ، وهذا الجميع ثم ناموا جيدا وطويلا . مدهش كيف يفالك النوم وانت ضعيف وجائع . . . الاحلام خفيفة ومتعددة الالوان كقوس قزح ، احلام شهية ولذيذة ليس بإمكانك الانقطاع عنها . . . كل من يرغب في التعرف على مثل هذه السعادة الخاصة يتحتم عليه ان يجوع لخمسة او ستة ايام . . . ببساطة . . . ان سعادة الجائع ان ينام وينام .

عندها نام الجميع . ولم يستعجل احدا اليقظة . كانت اليقظة بالنسبة لنا كالعودة من الجنة الى الجحيم .

عندما استيقظ الجميع ، اذ كان يجب المذهب الى المناوبة والحراسة والعمل او لجلب الماء ، او لبحث عن الحطب لتدفئة ، وللعثور على شيء ما يمكن تحضيره واكله ، لم يستيقظ البروفيسور رادونوف . . . لم يستيقظ بالرغم من انهم ايقظوه لشرب القهوة . لم يرغب في النهوض ، وكأنه بعد ان اطلعنا على سره الدفين فقد قوته .

حصلت هنرييتا ميخائيلوفنا على بعض الادوية له . حقنته بها ، لكنه لم يصح . . . لقد استمر في رقباده ، تحدث بهدوء وبلا ترابط . رفض جلب الماء بالرغم من ان الوقت وقت مناوبته .

لم يستيقظ بعد ذلك ، لقد مات في غفوته . وانتقل الكيس المليء بحبات الفاصوليا الى هنرييتا ميخائيلوفنا . و في الربيع مع الاشعاعات الاولى لنسور الشمس بزغت الخضرة ، بالرغم من انه كان من الصعب وضع الحوض امام الكوة الصغيرة التي تسللت منها الشمس ، اذ كان الشباك مغلقا بوح من الفئير . لكنها حافظت على الفاصوليا وجمعت المحصول . ولمرة الثانية زرعت الفاصوليا ثم سلمتها الى المعهد . لم تأكل حتى حبة واحدة من الفاصوليا .

هذه الحبات العزيزة اثبتت ان الشمس والحياة موجودتان في عالمنا ، وان الحياة ، ستكون حتما عريضة كهذه الاوراق الصغيرة التي حافظنا عليها ، وخفنا من ان تذبل . لذلك ومع كل صباح سقيناها الماء الدافئ ، ووضعناها امام النور . كان دافعنا الحماس لرؤية هذه الوريقات مخضوضرة .



● الصمود
● للرسمية سعاد نصر - جيفا

(ثلاثة عمال عرب من غزة ، احترقوا في مشغل مقفل في تل أبيب ، لان السادة جرون
على اقفال المشغل من الخارج في ساعات الليل) .

التهديد ، مثل سكين تلمع
الصرخة ، مثل صفارة الانذار
الخوف ، كالقذائف المتساقطة
والتحذير في عنوان النار
نار العمال الذين احترقوا
الذين احترقوا ثلاثتهم
لأنهم عرب من غزة ..
كأنما لا جديد تحت شمسنا
وكأنما

لا وقت للاحساس بالخطر
ولا مكان فينا لاستيعاب الصرخة
ولا رغبة لسماع القذائف
ولا جرأة فينا
لقراءة النار الساطعة
من الغزيين الثلاثة
الذين ولدوا عربا .
لو أنني آمنت بالأسطورة
أسطورة الشعب المختار
لا احترقت الأسطورة
يوم احترق العمال الثلاثة من غزة
لو أنني أوصدت نفسي طيلة حياتي
لاستوعبت أحاسيسي في ذلك اليوم
صرخة الاحتراق
ورائحة القتل
المتصاعد من لحم الانسان المحترق .
كان ذلك كافيا لافتح عيني
ولأقرأ في النار الساطعة -
هذا هو الاسلوب !

هجمة جديدة على شعراء الشعب

● تقوم السلطات الاسرائيلية وأبواق دعايتها بشن هجمة جديدة على شعراء الشعب الذين أسهموا في معركة يوم الأرض وفي مهرجانات الألوف في أول أيار .

قبل أيام اعتقل البوليس الشاعر الشعبي عوني سبيت ابن اقرب المنكوبة ، المقيم حالياً في الرامة ، ثم اطلق سراحه في اليوم التالي بعد التحقيق والارهاب .

وكانت اذاعة « صوت اسرائيل » العبرية وجريدة « معرب » وجريدة « يديعوت احرونوت » قد شنت حملة تحريض على الشاعر سميح القاسم وقصيدته « قد نهمل ، لكن لن نهمل ! »

وفي جريدة « الأنباء » (٧٦\٥\١٠) كتب يوئيل درويش (أصبح اسمه يوئيل دار) خيراً يقول فيه « ان السلطات تتابع باهتمام القصائد التي مؤخرًا في بعض الصحف العربية والتي لم تخل حسب اعتقاد المسؤولين من عبارات التحريض ضد الدولة » .

واضح ان التهديد موجه الى شعراء الشعب وقصائدهم حول يوم الأرض وأول أيار !

عندما يجري الصهاينة أبحاثهم العلمية !!

* سارة نابو تحمل شهادة دكتوراة وتعمل في قسم البيولوجيا في جامعة حيفا . لا نعلم اذا كانت سارة نابو هذه قد حصلت على شهادة في دراسة علم الأعراق في ألمانيا ، لكننا نعلم من جريدة « هآرتس » (٦ أيار ٧٦) انها أجرت بحثاً حول « جينوسات » الطائفة الاسلامية والتغيرات التناسلية فيها ، ثم حصلت هذه الدكتوراة على ٣٠ ألف ليرة من « الاكاديمية القومية للعلوم » لاجراء بحث حول « جينوسات » الطائفة الدرزية لمعرفة الفرق بين هاتين الطائفتين اللتين كان لهما « اصل مشترك في الماضي البعيد » على حد تعبير « هآرتس » .

كان أولى باجهزة اسرائيل ان تقدم مبلغ الثلاثين ألف ليرة الى أية قرية عربية لتعميد ١٠٠ متر من طرفها (قرية البقيعة العربية الدرزية ، مثلاً !) ، غير ان نوايا الصهاينة وعلمائهم لا يمكن ان تتجه للخير . وعليه تؤكد التحام بني معروف بامتهم العربية وبجنودهم الاسلامية ، وننصح سارة نابو هذه بتوجيه « عبقريتها » العلمية لبحث العلاقة بين اليهود الشرقيين والغربيين ، ولايجاد الجواب على السؤال : من هو اليهودي !

* على العرب أن يسلّموا بأنهم يعيشون في دولة يهودية وصهيونية !

اسحق راين

* الصهيونية تيار رجعي للبورجوازية اليهودية !

ف. ا. لينين

لما انجن المحتلون !

✽ منذ شهور قدمت فرقة « صندوق العجب » المقدسية مسرحية بعنوان « لما انجنينا ! » توضح مرارة وسخرية من الاحتلال . ويبدو ان سلطات الاحتلال صابها الجنون حين علمت بهذه المسرحية فقد راحت تطارد الفرقة وتعتقل بطل المسرحية الفنان الفلسطيني مصطفى الكرد من حين لآخر كان آخرها اعتقاله لمدة ثلاثة اشهر ، اداريا !

قد تستطيع سلطات الاحتلال الاسرائيلي تشويش عمل فرقة « صندوق العجب » لفترة من الزمن ، لكن هذه السلطات اعجز من ان تشوش سير التاريخ الى الأبد !

فيما يلي ، لقطات من المسرحية الرائعة « لما انجنينا » ، وليواصل الاحتلال جنونه .. انه يحفر قبره بظلفه !



● مشهد عام من المسرحية ●



● عادل ترتير وعروس الموت ●



● فرنسوا أبو سالم يشد الحبل ! ● ● مصطفى الكرد يجثن المحتلين ●

قريباً

الكتاب الاسود

حول ٣٠ آذار ١٩٧٦ - يوم الأرض والشهادة -
يعتمد الكتاب على افادات خطية موقعة ومشفوعة
بالقسم .

اصدار : اللجنة القطرية للدفاع عن الاراضي العربية

وما قتلوه وما طابوه ولكن شبه لهم

أحدث مجموعة شعرية لسميح القاسم

اصدار : منشورات صلاح الدين

ودية

المجموعة القصصية الثانية لمحمد نفاع

اصدار : منشورات عريستك

الجرح الثائر

أول ديوان زجل للشاعر الشعبي عوني سميت

عائد الى حيفا

رواية غسان كنفاني المعروفة

اصدار : منشورات صلاح الدين

كنا في هذا العدد مع :

- | | |
|------------------------|---|
| « الجديد » | ٣ - مؤتمر علمي |
| صليبا خميس | ٦ - الاستراتيجية الصهيونية والأرض |
| فدوى طوقان | ٨ - ثلاث قصائد (شعر) |
| سميح القاسم | ١١ - مقاطع من « ٣٠ آذار » (شعر) |
| ليف كوغان | ١٩ - الانسان والثقافة والحضارة |
| عز الدين المناصرة | ٢٩ - جفرا أرسلت لي دالية وحجارة كريمة (شعر) |
| كاتب ياسين | ٣٥ - العود والحقيبة (مسرحية) |
| د. فواز طوقان | ٦٧ - حوار مع نزار قباني |
| ابراهيم مالك | ١٠٠ - الزراعة العربية في اسرائيل |
| احمد ناظم | ١١٢ - قاعدة المثلث (قصة) |
| مايا دانيوني | ١١٧ - الكيس الفامض (قصة) |
| ترجمة : عفيف صلاح سالم | |
| سعاد نصر | ١٢٣ - الصمود (لوحة) |
| أريه ليفين ديكر | ١٢٤ - التهديد (شعر) |

الجديد

شهرية الريادة الثقافية تأسست في حيفا عام ١٩٥١

الاشتراك السنوي :
في البلاد - ٧٥ ليرة (بالبريد العادي)
في الخارج - ١٠٠ ليرة أو ما يعادلها
(بالبريد العادي)
ثمن المجلد السنوي ١٠٠ ليرة
(باستثناء نفقات الارسال)

هيئة التحرير غير ملزمة باعادة
الواد الى اصحابها ، سواء نشرت ام
لم تنشر .

موقع المادة من المجلة تفرضه ظروف
فنية .

هيئة التحرير والادارة :
شارع الحريري ٩ - حيفا
ص.ب ١٠٤
ت : ٧ - ٥١١٢٩٦ (٠٤)
المحرر المسؤول : المحامي حنا نقارة

تطبع في :
مطبعة الاتحاد التعاونية
ص.ب ١٠٤ - حيفا
شارع الوادي ٤٣
ت : ٥٢١٤٥٧ (٠٤)

ملاحظة : فاننا الاشارة الى ان لوحة الغلاف في العدد الماضي هي للفنان عبد عابدي
وتحمل اسم « الغراء » .

إعلان

تتوي ادارة « الجديد » اعدادا المزيد من مجلدات المجلة ، وتنقصها
لتحقيق هذه الغاية الاعداد التالية ، من السنوات الماضية :

- سنة ١٩٦٨ ، الاعداد ٢ ، ٤ ، ٩٤ - ١٠
- سنة ١٩٦٩ ، العددان ٨ ، ١١
- سنة ١٩٧٠ ، الاعداد ٩ - ١١ ، ١٢
- سنة ١٩٧١ ، الاعداد ١ - ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ - ١٠ ، ١١ ، ١٢
- سنة ١٩٧٢ ، الاعداد ٧ - ٨ ، ١٠ ، ١١ - ١٢
- سنة ١٩٧٣ ، العددان ١ ، ٢
- سنة ١٩٧٤ ، العددان ١ ، ٢ - سنة ١٩٧٥ ، العددان ٧ ، ٨

نرجو تزويدنا بهذه الاعداد ، في حالة توفرها ، من اجل استكمال
المجلدات المطلوبة ، مع الشكر .

ولكن لي سرا قديما ذخرته
 يشع ، فندرب في الدجنات لاحب
 اناقب فيه كل وجهه نسيت
 وكم شام وجهي في ثناياه ناقب
 مقيم علي ضيم مقيم .. وانني
 مقيم ، وطاعوت الطواغيت ذاهب
 فيا قاتلي استكملوا كل عدة
 وصولوا وجواوا واحشدوا وتكالبوا
 تقمصت الحروباء مني عوالمها
 اذا غاب منها نابض ، عاد غائب
 ويا قاتلي اليوم ، صدق شهادتي
 وموت المحبين المعاميد كاذب
 انا الحق . جلثت عن تكوير مشيئتي
 وها انذا قد شئت . والحق غالب !

ثم ضجت شرايينه
 وعلى مسمع الخوذ البربريه
 صاح في الساحة المركزيه :
 جسدي غيمة . صخرة . مدرسه
 جسدي الف طفل جديد .
 جسدي قبيلة . صاعقة .
 جسدي ارغن الموت والبعث
 فلتسمعي يا جميع الامم :

اهتدبل ؟ ام غرغرات دماء ؟
 ام لواء مصفق للواء ؟
 ام تراهها زغرودة السرايا
 اطلقتها « سكينه » من خباء ؟
 لا تسل . والجواب في كل وجه
 من وجوه العروبة السمراء
 غمغمات وجلجلات تدوي
 بين فجر كاب وليل منضاء
 يقتل الجزر مداه . ثم يعلو
 الف مداه علي رقاب الفداء
 انها سئنة البطولات : كر
 بعد فسر . ومطرح للرجاء
 فتقر القبور . لا لوقوف
 وبكاء .. لكن للاستيحاء !

صدر حديثاً :

دراسات في الصهيونية

بقلم : ماير فلتر - د. وواف ايرليخ - تمار غوجانسكي
(منشورات صلاح الدين)

*

واقع الدروز في اسرائيل

عرض تاريخي ، بقلم : نبيه القاسم

*

مأساة القرن الضليل

شعر : شفيق حبيب

*

سالمومي ورأس المعمدان

شعر : موديس معلوف

*

من أسفار الفارس الحزين في مدن الموت والغربة

شعر : نظير شمالي

*

أنغام ذات ايفاع حاد

شعر : محمود عوض عباس
(منشورات صلاح الدين)

*

الازمة اللبنانية والوجود الفلسطيني

بقلم : محمد كشلي
(منشورات صلاح الدين)

(يسعدني أن أعلن للعالم
أنك يا وطني ترجيء موتي حتى ميعاد آخر
حتى يتضح الفرق الهائل
بين المعرفة ومعرفة الدم
فلتأت شعوب الأرض الي اليوم
ولتسمع أرغن جسدي
يتفجر بالدم الصاخب
بين الكدف الأحمر والعشب الأخضر
ولتشهد وجزي الساطع في ليل الإعداء
شمسا تحرق ذيل العصفوره
نارا تاكل جذر الاسطوره
ولتدل شعوب الأرض بأقوال شهادتها
في محكمة العدل الدوليه
لا في لاهاي .. ولكن في سخنين !)

آن ان يزهرق الباطل
آن ان يعلم اللص والقاتل
انه لن يطول الحوار
بين كف الشعوب ومخزى اعدائها
لن يطول الحوار
بعد ليل قصر يطبل اشهار
تجمع الأرض أشتات سيمائها
ينطق الآخرس
ينفض المقعد
تبرا الشمس من كل أوبائها !

عاود الفرس والروم كراتهم
لحمننا نهب أنيابهم ..
فاخرجوا من شرايينكم !
آن يا اخوتي
آن أن نبعث الشائر المصطفى
آن ان تشهر الثورة الرمح والمصحف
آن ان يعلم اللص والقاتل
انه زائل

زائل
زائل !

● ٢ - مع الموت ، شخصياً ! ●

سلموا لي عليه
والثموا راحتيه
صار حنجرة . جرسا . مطرقه
انظروا !
ها هي الارض يا اخوتي
باسمه تفتح اليوم ابوابها المغلقه !

من قديم الزمان التقينا به
من قديم الزمان انتمينا اليه
سلموا لي عليه .
ايها الموت - قولوا له - ايها الموت يا خبزنا
ايها الموت يا كنزنا
من قديم الزمان انتمينا اليك
ما بخلت علينا
ايادك تلوي باعناقنا
ووهبناك كل الذي تشتهي
ما بخلنا عليك
وانتمينا اليك !

(هل يختلط الامر علي ؟
هل يختلط الحابل بالنابل ؟
تتناق الاقطاب
تسدغم الاقطاب
نوصد ام تفتح من حولي الابواب
ويلمتي . اقضم شفتي
هل يختلط الامر علي ؟ !)

يومها .. اولم الموت
فاجأته قبل ان يلمس الزاد
حيثه مخرجنا
صاح في غبطة : « يا هلا !
جائع انت يا صاحبي ،
والطعام هنا وافر . يا هلا ! »

جائعا كنت ، يا اخوتي ، مبتلى
واقترحت الطعام . التهمت يدي
التهمت على عجل عنقي . واكتفيت
جرعت نبيذ دمي ، وارثويت .
قلت : « شكراً جزيلاً »
دعاني الى الوجبة القادمة .
كانت الوجبة القادمة
يوم ان اكلت كل اولادها القرية الظالمه !

(يتخط في الزنزانة دوري)
يرفض ان يمكث في الاسر
ويرفض ان يرحل
الزنزانة محكمة الاقفال ، يحاصرها عسكر زيوناز
صاح : « أجرتي ! »
رد البواب : « أجرك ! »
رد العشب الاخضر ، من تحت نعال الجند :
« تقتل او تقتل »
لكن لا ترحل ! «
ردت ازهار البرية من سفح التل :
« انت القول الفصل ! »
قال : « الموت المر ، اذن .. »
ردت اشجار الزيتون : « بل الموت العالي !
لا بأس عليك
واضرب بجناحيك
حتى لا تسقط
واضرب بجناحيك ! »

حالة الطقس : صوالة في حساء العدو
شجر زاحف
حفنة من تراب الوطن
في عيون العدو .
صيحة شعشت في التلال :
« راية .. او كفن ! »
حالة الطقس : مستقبل عاصف
يا نسيم الماء العليل
كيف حال القتيل وام القتيل ؟
انما الوقت يا اخوتي غامض

قابل رافض ..

(أنتِ تحديد استشرى سطلون
أنتِ تماديت فسوت استعديت غزوت
فاربع
وتصدع
نولا اون
انذا صاعقة الموت !)

فارس الدم والمسك والقمح والياسمين
عاد من غربة في اقاصي السنين
سلموا لي عليه
والثموا راحتيه ..

كان هممة الناسكين
بانتظار الاعاجيب في لهفة المحرقه
صار حنجرة . جرسا . مطرقه
فانظروا !
ها هي الارض يا اخوتي
باسمه ،
تفتح اليوم ابوابها المفلقه !

(من ديوان « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبهتهم ! » الذي يصدر قريبا)

ليف كوغان

الانسان والثقافة والحضارة

١ - الانسان والثقافة

ان للتركيز على اعتبار مشكلة الثقافة احدى مشكلات القرن العشرين الاساسية ، مبرراته «التي تنطرح بشكل اسئلة عديدة » : لماذا يدرس المختصون من علماء اجتماع وفلسفة ومؤرخين واثروبولوجيين ومؤرخي ادب وعدد كبير من اصحاب الاختصاصات المختلفة ، في عصرنا بالذات ، وبكثير من الاعتناء ، القضايا العامة التي تتعلق بالفلسفة والثقافة ؟ ولماذا برزت ولادة علم جديد أخذ يفرض نفسه في عصرنا الحالي هو علم الثقافة ؟

علينا ان نبحث عن اسباب اهمية المبدأ الحضاري التي تزداد يوماً بعد يوم في خضم اضطرابات الحياة الاجتماعية التي يشهدها عصرنا الممتلئ ديناميكية . يتضح لنا قبل كل شيء أن في العالم المعاصر نمطين ثقافيين مختلفين ، تجاوباً مع أنظمة اجتماعية مختلفة ، ونموذجين الحضارة . ثم ان الثورة العلمية والتقنية التي هيمنت حالياً على العالم اجمع قد وجهت انتباه الانسانية كله الى العلم والتقنية وجمعت من القرن العشرين « قرن العلم » . وليس مصادفة ان تدفعنا سرعة انتشار العلوم في جميع ميادين الحياة الاجتماعية الى تركيز الانتباه كله على مصير ظواهر ثقافية اخرى . فهل تصمد الاخلاق وتصمد الفن وتصمد القيم السياسية والقانونية امام تيار العلم المتدفق ؟ ام ينبغي ان تتحول

هذه القيم ؟ وكيف يكون آنذاك التحول ؟

وأخيراً نرى ان جماعات عديدة في البلدان الآخذة في النمو في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، قد انفتحت على النشاطات الثقافية . والشعوب التي كانت بالأمس خارج اطار الحضارة تشارك اليوم ، بفعالية مضطردة في مسيرة التطور الثقافي .

تتعلق مشكلة الثقافة ، أكثر من أي مشكلة اجتماعية حياتية ، بتطور الإنسان . فالإنسان هو الذي يخلق جميع القيم وجميع المنافع الثقافية ، تاركاً نفسه يتكون بها وينمو . فهو فاعل الثقافة ومفعولها في آن ، « الإنسان ، الثقافة ، الحضارة » موضوع تطرحه علاقات عصرنا الاجتماعية والتحولات الاجتماعية السريعة التي تميز هذه المرحلة الزمنية .

الثقافة هي حصيلة النشاط الانساني . ان جميع علماء الثقافة ، الى أي مدرسة أو اتجاه انتموا ومهما اختلفت آراؤهم في جوهر الظاهرة الثقافية وحول المكانة التي تحتلها في سام العلاقات الاجتماعية ، يؤكدون هذه البديهية . فقيم الثقافة وقوانينها ومنافعها وانظمة دلالاتها الرمزية تموضع مختلف نشاطات الإنسان ابتداء بعملية الانتاج الآلي وانتهاء بتجليات الفكر الانساني الرفيع الذي يتميز بحرية الخلق والابداع ، وهي البنيات التجريدية للمنظومات الفلسفية ، وقوانين القواعد الخلقية أو التأليفات السمفونية لكبار الموسيقيين . لكن ، أي نشاط من النشاطات الانسانية يمكن ان نعده بين النشاطات الثقافية ؟ وما هي النشاطات الانسانية التي تترك أثراً ظاهراً في تطوير الحضارة الانسانية ؟ أن الطريقة التي ستجيب بها على هذه الأسئلة ، هي ، حالياً ، الحد الفاصل ونقطة الانطلاق المشتركة بين مختلف مدارس واتجاهات عام الثقافة المعاصر .

بدهي ، كما يبدو ، أننا لا نستطيع ان ندخل في اطار الثقافة الا نموذجاً واحداً من النشاط الانساني ، هو النشاط الابداعي . ونعني بالابداع عملية النشاط الانساني التي تكسر القواعد المألوفة وجميع الكليشيهات والمبتذلات التافهة والقوالب ، والتي تولد نماذج جديدة لم تعرف بعد . وليس باستطاعة الانسانية ان تفرض ذاتها الا اذا رفضت عملية التقليد واحدى نتائج الثورة العلمية التقنية المهمة ، في أيامنا هذه ، واحدى نتائج الطابع الصناعي للانتاج المادي والفكري هي تقعيد NORMALISATION الاشياء وتوحيد نمط الصناعة . فمشروع طائرة أو سيارة أو آلة - أداة ، وضع في هدوء مكاتب البحث ، يصبح جاهزاً للانتاج فوراً ويحقق في مئات وآلاف ، بل ملايين النسخ المتشابهة . ان إعادة انتاج الآثار الفريدة الفكرية ، تتيح تعريفها لملايين الناس في جميع انحاء الارض . ان عصر الصناعة هو عصر الاستنساخ . ففي تاريخ البشرية كلها ، لم

يتمتع القالب أو النموذج بالاهمية التي يتمتع بها اليوم . وهكذا تظهر أولى تناقضات الثقافة الحديثة :

أ - الثقافة ، في عصرنا الراهن أكثر ديناميكية وحركة وتغيراً من أي وقت مضى .

ب - عصرنا هو عصر التعقيد والاستنساخ NORMALISATION REPRODUCTION

ان التناقض التام ظاهر في الفرضيتين السالفتين ، ومع ذلك فان كليهما صحيحتان لا ريب في صحتها . فالانتاج المرحلي يتابع تطوره وتزداد سرعة هذا التطور أكثر فأكثر متممة بذلك نشاطات الإنتاج الاستنساخي . وتزداد في الوقت نفسه النشاطات الإبداعية ويتكاثر عدد النماذج الجديدة التي توضع قيد التصنيع ، وهكذا نرى أن وتيرة الاكتشافات العلمية تزداد سرعة وتدخل عالم التصنيع بسرعة وفي مدة وجيزة . ولكي نتخلص من هذا التناقض الذي اشرنا اليه ، لا يعني ان علينا ان نقلل عدد النماذج الجديدة التي نريد تصنيعها وانما يعني ان ندخل عناصر النشاطات الإبداعية في جميع ميادين العمل الإنساني ومن ضمنها عملية تطور الاستنساخ . وكما يبدو ساذجاً التأكيد بأنه سيكون باستطاعتنا في أحد الأيام ان نشهد حالة جديدة للأشياء حيث يتولد من كل فعل أو عمل نموذج جديد . فالتشكك كبير في حصول مثل هذه الحالة . غير ان الإنسان في مسيرة التصنيع المرحلي نفسه يمكنه بل ينبغي عليه ان يدخل عناصر جديدة على التكنولوجيا ، والتقنية وتنظيم العمل . فالثقافة هي النشاط الخلاق للإنسان المرتبط بفتات اجتماعية ، بجماهير ، والمتشخص في قيم مادية وفكرية معينة ، في المنافع والقواعد والمؤسسات . ولا يمكننا ان نحصر الثقافة في نتائج هذا النشاط وحدها ، أي في مجموع القيم المادية والفكرية ، ذلك أن الثقافة هي قبل كل شيء عملية خلق لهذه القيم ، وتوزيع واستهلاك .

فالثقافة هي عملية تموضع الفنى الفكري للفرد ، وهي عملية تحول قواه وامكاناته الى قيم ومنافع ثقافية . وهي في الوقت نفسه عمالية اللاتموضع للقيم المتراكمة عبر العصور ، وعملية تحويل هذه القيم الى ثروة روحية للفرد . فالوحدة الجدلية وتداخل هذه العمليات هو ، على وجه الدقة ، ما نسميه بالنشاطات الثقافية .

واستيعاب أو تمثيل القيم الثقافية المتراكمة منذ قرون عديدة ، وكل ما تبقى من الحضارات القديمة هو الشرط الاساسي وقاعدة كل نشاط ابداعي للقيم الجديدة ، وهو نشاط يستلزم ، بدوره ، هذا الاستيعاب . وإذا كان نتاج الإبداع المادي أو الفكري وفقاً على مبدعه دون ان يشارك في عملية الانتشار ، فلا يمكن تصنيفه بين الظواهر الثقافية . فنحن في مجرى نشاطنا الثقافي نرتطم اذن بهذا الانتقال المستمر من التوضع الى اللاتموضع ، أو بالعكس . وحين ندرس

هذه الظاهرة ، تعترضنا حتماً صعوبة أخرى هي معرفة ما اذا كانت كل أعمال الانسان الابداعية تدخل في ميدان الثقافة . فهل يمكننا ، مثلاً ، أن نحسب ما يكتبه خطاط يدعي الشاعرية حصيلة نشاط ثقافي وظاهرة ثقافية ؟ وإلى أي مدى يمكن أن تكون رسوم طفل ، مثلاً ، ظواهر ثقافية ؟

من الواضح أنه للإجابة على هذه الاسئلة علينا أن نحدد في كل حالة ملموسة درجة التجديد ، وبعد هذا الانتاج المعطى عن القوالب السائدة . ان المبتدئ ، واستاذ الموسيقى العظيم يمكنهما ان يعزفا على البيانو مقطوعة موسيقية واحدة ، ولكن التجديد عند المبتدئ وهو يؤدي عمل المؤلف يقترب من درجة الصفر ، بينما في الحالة الثانية نرى ان هذا العازف المستهلك سيجدد بكل تأكيد . وبالرغم من هذا فان « الجودة » لا تضمن كون أي انتاج ظاهرة ثقافية . فالمجتمع في بعض فئاته وطبقاته ، يؤسس قيمة هذا العمل فيما يقوم بوظيفته . والممارسة الاجتماعية هي وحدها التي تسمح لنا بانتقاء النماذج الجديدة حقاً في الابداع المادي أو الفكري وإهمال النماذج التقليدية والتجديدات المزيقة وكل ما يؤثر خارجياً دون محتوى حقيقي .

وهكذا فإن النشاط الابداعي عند الانسان لا ينتمي كلياً إلى ميدان الثقافة ، فان هذا وقف على النشاط الذي يواصل نماذج جديدة حقاً تثبت قيمتها الاجتماعية وتؤكد ممارستها بعض فئات المجتمع وطبقاته .

ولا تنحصر الثقافة في مجموعة القيم المتراكمة . ومن هنا ، كان للثقافة مظهر معياري إلى جانب مظهرها القيمي . مثلاً ، ثقافة السلوك ، ثقافة الحياة اليومية ، وثقافة العمل ، الخ . . . وتسهل الملاحظة ان كلمة « ثقافة » في هذه الحالات تعني المعيار أو قاعدة السلوك أو المثل النموذجي في ميدان العمل ، الخ . فنقصان الثقافة يعني عدم احترام هذه القواعد أو جهلها ، مما يعيق التواصل . وبفضل هذا المظهر المعياري تكون الثقافة احد المقومات التنظيمية للحياة الاجتماعية ، فهي تملئ قواعد السلوك في المجتمع ، محددة بذلك ما يجب معرفته وكيفية تحقيق عمالية المشاركة ، في آن ، أعني كيف ينبغي على الانسان أن يكتسب قيم الثقافة وخياراتها الضرورية بالنسبة له .

وبتجلى المظهر المعياري للثقافة بفضل منظومة الدلالات الرمزية التي تكوّن قواعدها حسن السلوك ، ودلالات الانتباه ، الخ .

وأخيراً تبدو الثقافة مستحيلة دون مؤسسات متخصصة توفر انتاج القيم الثقافية وتوزيعها . وبقدر ما تكون الثقافة متطورة في بلد ما تكثر فيه هذه المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية . وبقدر ما يكون حكم الدولة ديمقراطياً تكون امكانيات المشاركة الشعبية في تسيير هذه المؤسسات كبيرة . وتصبح هذه المؤسسات في متناول ملايين من الناس .

ان قيم الثقافة ومعاييرها ومؤسساتها تظهرها لنا في حالتها السكونية ، ولا

تسمح لنا بالحكم على حركيتها . فانتاج القيم والخيرات الثقافية وتوزيعها ، واستهلاكها هي « درجات » فعل الثقافة . **فالثقافة اذن نظام حركي معقد يرتبط عضوياً بسائر الانظمة الاجتماعية ويخضع في النهاية الى النظام الاقتصادي في المجتمع المعين .**

يمكننا في العصر الراهن ان نلاحظ اتجاهين متعارضين في تطور النظام الثقافي الواحد :

أ - تمديدية MATERIALISATION متصاعدة لثقافة .

ب - نمو دور المظهر الروحي في الثقافة .

هذان الوجهان المتناقضان حقيقيان . فالعلم في يومنا الحالي يزداد اقتراباً من الانتاج ويصبح اكثر فاعل « مخزونه الروحي » . وعلى مفترق الانتاج والفن نشهد ولادة التصميم DESIGN وتطوره ، فامكانية الفن المعماري تتزايد

باستمرار وهذا ما يؤثر من قريب او بعيد على فن العمارة والبناء . كما اننا نلاحظ من جهة اخرى ازدياد أهمية المعرفة العامة وأهمية العمل الفكري في الانتاج ذاته وأهمية العوامل الاجتماعية - السيكولوجية في تنظيم العمل ، الخ . هذا كله يتيح لنا التكلم عن **تكامل وجهي الثقافة الفكري والمادي** . ومن الواضح ايضاً اليوم ان عمالية تمديدية الثقافة هي اسرع بكثير من تطور مظهرها الروحي .

وهذا ما يبعث على التوهم ان **الثقافة المادية** تمارس نوعاً من « الكبح » على **الثقافة الروحية** . لكننا سنعود للكلام على هذه المشكلة فيما بعد .

بعد هذه اللوحة المقتضبة عن نظام الثقافة ، نعود الى السؤال الذي يهمنا وهو معرفة موقف الانسان حيال هذا النظام ، وكيف يستوعب ثقافة الماضي والحاضر . سنعرض هنا لتناقض آخر من تناقضات النظرية الثقافية .

أ - الانسان حر في أن يختار ، بين القيم والخيرات الثقافية الروحية للمجتمع ، ما يرى أنه يستجيب لميوله وتطلعاته .

ب - الانسان ليس حراً في اختيار القيم الثقافية لان هذا الاختيار نفسه ، محدد اجتماعياً .

هنا نجد ايضاً ان الفرضيتين صحيحتان . والفكر الجدلي يجد حلاً لهذه الصعوبة . فاختيار القيم الفكرية هو بكل تأكيد محدد اجتماعياً ، وهو مرتبط أولاً بدرجة تطور النظام الاقتصادي ومدى تطور العلاقات الاجتماعية في البلد المعني . وهذا ما يحدد بالضبط جدول القيم والخيرات الثقافية التي يقدمها المجتمع للفرد . فنحن نعرف مثلاً ان النمو الاقتصادي والاجتماعي في بعض

بإمدان القارة الإفريقية متقهقر إلى درجة أن معظم سكانها محرومون من التعليم الابتدائي نفسه .

ثم إن اختيار القيم الثقافية يفرضه ثانياً فكرتنا عن العالم واتجاه الجماعة التي ينتمي إليها الفرد . فالإنسان لا يستطيع أن يعيش وأن يكون حراً حيال هذا المجتمع واتجاهاته الوطنية وحيال طبقاته وجماعاته خصوصاً فيما يتعلق بالقيم الثقافية .

ونرى ثالثاً أن هذا الاختيار تحتمه درجة التحضر للفرد نفسه بعلمه وثقافته الشخصية . فالقيم الثقافية التي تنطوي على معلومات معقدة وتدرجية إذا جاز التعبير ، تستعصي بكل تأكيد على إنسان قليل العلم وغير مستعد لاستيعابها . أخيراً ، يحدد هذا الاختيار التطور العام للحضارة على مستوى الكون كله . فاسلافنا في القرن التاسع عشر مثلاً لم يكونوا قادرين أن يروا فيهما ، أو يصفوا إلى الإذاعة ، أو يمضوا وقتهم أمام شاشة التلفزيون .

ومع ذلك فإن طابع حتمية القيم الثقافية لا ينفي أبداً نوعاً من حرية الاختيار شريطة تفهم الطابع النسبي لا المطلق لهذه الحرية . ففي الأدب ، اليوم ، نتجادل كثيراً حول امثالية الفرد (والجمهير) حيال القيم الثقافية . ونعتقد نحن أن التناقض الذي نحله يلقي بعض الضوء على هذه المشكلة المعقدة جداً . فالامثالية ليست قط حلاً من حرية الاختيار لدى الفرد ، فيما يتعلق بالقيم الثقافية لأن هذا الاختيار كما أوضحنا سلفاً هو دائماً محدد اجتماعياً ، وهو إذن ، اختيار محدود . ومن هنا تنشأ الامثالية ، أي عندما يتخلى الفرد عملياً عن حرية اختياره ضمن الحدود التي تضعها له الحتمية الاجتماعية ، وفي هذا الإطار تتجلى حرية الفرد في اختياره للقيم الثقافية :

أ - في موقفه الانتقائي ، إزاء القيم والقواعد الثقافية ، المطابق لميول السيكولوجية الفردية ، وأذواقها وقوانينها وخصوصياتها .

ب - في محاولة خلاقة أصيلة لتمثل القيم والقواعد الثقافية .

ج - في نشاطه الإبداعي الرامي إلى خضاق قيم ثقافية جديدة تموضع أو تجسّد المعالم النظري للفرد المعني .

فالامثالية رفض واع وغالباً لا واع لكل الاحتمالات القائمة ضمن إطار حتمية الاختيار الاجتماعية للقيم الثقافية . وعملية تحقيق هذا الاختيار تفترض درساً مسبقاً لمحيط الإنسان الثقافي . فالمجتمع لا يؤثر على الإنسان مباشرة ولكن من خلال محيط اجتماعي وثقافي معين هو المحيط الذي يعيش فيه الفرد . وفي إطار المجتمع الواحد تختلف امكانيات التطور الثقافي عند كل فرد حسب نوعية وسطه (مركز صناعي كبير ، مدينة كبيرة أو صغيرة ، أو قرية) ومكان عمله وجواره القريب . . . الخ ، والمحيط الثقافي والاجتماعي ، لأن وضع

الإنسان الاجتماعي في بنية المجتمع يحدد أيضا محيطه .

والدرس هذا المحيط الثقافي ينبغي علينا ، كما ارى ، اتباع طريقين رئيسيين هما :

أ - تحليل عناصر الوسط الثقافي المادية (مؤسسات ومنشآت ثقافية ، الأشياء الثقافية المتداولة والتي هي بتصرف السكان ، ثقافة الإنتاج ، وأخيراً ثقافة الحياة اليومية) .

ب - تحليل العناصر الفردية في الوسط الثقافي ، اعني الجماعة التي ينتمي اليها الفرد ، درجة تعلمه ، مستواه الثقافي ، مقاييسه ، حاجاته واتجاهاته الخ ...

فهناك صلة متينة بين عناصر الوسط الثقافي المادية والفردية وهي تؤثر على استيعاب الفرد لقيم وقوانين الثقافة بقدر ما تؤثر على نشاطه الإبداعي الخاص في ميدان الثقافة ، وبفضل هذا التأثير يحدد الإنسان بطريقة أو بأخرى موقفه حيال القيم والمعايير الثقافية . فالوسط الثقافي هو من العوامل الفاصلة التي تحدد اختيار الفرد للقيم الثقافية كما تحدد ديناميكية نشاطه الثقافي .

ودرس الوسط الثقافي يجب أن يعنى بدراسة إمكانية عمل الإنسان بقدر ما يجب أن يعنى بمحيطه المنزلي وكلتا الدائرتين يمكنهما أن تتكاملا بكل انسجام أو أن تتعارضوا بكل عنف . وفي هذه الحالة يضبط التأثير المنبثق من أحد الأوساط الثقافية .

كل ما قيل الى الآن يدل على أن نشاط الفرد الثقافي محدد اجتماعياً وليس فيه قط مجال للحرية المطلقة كما تعتقد بعض المدارس والاتجاهات في علم الثقافة . وليس باستطاعتنا أن ننكر فضلاً عن ذلك قدراً ولو قليلاً من الحرية الفردية في اختيار القيم الثقافية وأشكال نشاط الثقافي التي تتيح للفرد الانعتاق والتخلص من الامتثالية .

ويكون النمط الثقافي أقل أو أكثر تقدمية بحسب إمكانية الاكثريّة من السكان وإمكانية الشعب والعمال في المشاركة بقيم الثقافة وغناها وبالنشاطات الإبداعية التي تهدف الى خلق نماذج جديدة لهذه القيم .

ولا يتميز النمطان الثقافيان في العالم المعاصر ، النمط الاشتراكي والنمط الرأسمالي بمضمونهما فقط بل بدرجة مشاركة الجماعات الشعبية في استيعاب هذين النمطين والإبداع ضمن نطاقهما . وفي حين أن نظرية « الثقافة الجماهيرية » في كل أشكالها ، تميل الى وضع مبدأ تبرره وهو أن « الإنسان الجماهيري » يبقى غريباً عن أرفع منجزات الثقافة الوطنية والعالمية ، فإن النتيجة الأساسية للثقافة الاشتراكية هي القضاء على نمط ثقافي يركز على النخبة .

يبد أن خطأ « الثقافة الجماهيرية » الأساسي كما يعرضها لنا أصحابها أو

نقادها هو في انها تطيل امد الوضع الذي تبقى فيه اجمل مكتسبات الثقافة الفكرية متعذرة على القسم الاكبر من السكان .

ومن المؤكد أن مستوى التطور الثقافي عند مختلف القنات الاجتماعية يتفاوت اليوم ايضا في البلدان الاشتراكية . ولكن اتجاه التطور الثقافي العام في هذه البلدان يكمن في القضاء على عدم المساواة في توزيع القيم الثقافية ونماذج النشاط الثقافي بين مختلف الامم والوحدات العرقية وبين مختلف القنات الاجتماعية وبين مختلف مناطق البلد الواحد .

ان معضلة الثقافة المصرية في العالم المعاصر هي التالية : اتبقى الثقافة « العالية » والاصيلة وفقا على النخبة ام تصبح بمنناول افراد المجتمع جميعهم ؟ فالثقافة اكثر من أي ميدان آخر للفاعلية الاجتماعية تتيح للفرد ان يفتتح ويحقق امكاناته الابداعية وهذا ما يضفي على الثقافة قيمتها الانسانية الكبيرة ولكن درجة تجلي هذه القيمة الانسانية مرتبطة بنمط معين من الحضارة .

٢ - الثقافة والحضارة

تستعمل لفظة « حضارة » بمعان عديدة ، ففي مدلولها العام هي مسا يناقض الحالة الوحشية البدائية وبالتالي تفترض الحضارة مستوى من التطور الاقتصادي والثقافي . وفي احد معانيها الحصرية والخاصة تعتبر الحضارة غالبا كنمط معين للحياة الروحية ، او بشكل اخص ايضا ، كنمط من الثقافة . وفي هذا المعنى بالضبط يستعملها ارنولد توينبي ويحدو حذوه كثير من علماء الثقافة .

وفي رايانا ان هذا التحديد ليس دقيقا ، فالحضارة لا يمكن ان تحصر بنمط ثقافي ظهر في مجرى التاريخ . فمفهوم الحضارة ينطوي ، منذ القدم ، وبمقتضى التقايد الفلسفي على نمط معين لمنهج اقتصادي يكون قاعدة للثقافة التي توازيه ، وبهذا المعنى يكون مفهوم الحضارة اوسع من مفهوم الثقافة .

ويمكننا ان ننظر الى الثقافة عموديا (تاريخيا) وافقيا ، فالثقافة المعاصرة تشمل ، جوهريا ، كل تاريخ الانسانية في تطوره الثقافي .

لم تنته « مرحلة » ثقافية واحدة من التاريخ دون أن تترك وراءها اثرا . وكل نمط جديد ثقافي ينطوي على كل ما كان قيما في المرحلة التاريخية التي سبقته . من هنا كانت عمودية الثقافة دراسة لهذا الثقافة منذ نشأتها وفي امتدادها التاريخي . وهي درس تكون الثقافة المعاصرة .

اما « افقية » الثقافة فهي تحليل لوضع هذه الثقافة الحالي وتحليل

مختلف الانماط الثقافية الموجودة حاليا . في عالم اليوم . والحضارة حسب رأينا هي نمط ثقافي يحدده بلد معين ومرحلة تاريخية معينة . فالحضارة هي اذن تركيز التطور التاريخي - الثقافي في المكان والزمان . فثقافة عصر العبودية مثلا والثقافة القديمة اخذت شكل حضارة اليونان والرومان وهاتان الحضارتان تتميزان اجمالا الواحدة عن الاخرى . وفي هذا المعنى يتسع مفهوم النمط الثقافي اكثر من مفهوم الحضارة لان النمط الثقافي الواحد يمكنه ان يشتمل على عدة حضارات مختلفة . واخيرا يمكن ان نتعاشق في اطار حضارة واحدة ، ثقافات روحية متعددة ، تعكس مصالح واطوار فئات اجتماعية متعارضة ضمن مجتمع واحد أو بلد واحد .

كل حضارة هي تاريخيا واقعية وتمتد في مرحلة زمنية محددة . وهكذا يمكن ان تتوالى عدة حضارات في اطار نظام اقتصادي - اجتماعي واحد تبعا لتقدم العلم والتقنية . لذلك يستحيل على اي كان التاكيد ان حضارة بريطانيا العظمى هي الحضارة ذاتها التي كانت منذ مئة عام بالرغم من ان نظام هذا البلد الاجتماعي - الاقتصادي بقي كما كان . فالحضارة تأخذ طابعها من ثقافتى المجتمع المادية والروحية ، معا .

الحضارة تبعية لان نماذج التقنية والعلم والفن التي يخلقها بلد من البلدان سرعان ما تصبح مكا للعالم اجمع بفضل وسائل الاتصال العصرية . ولننظر مثلا على ذلك التلفزيون وسرعة الانتشار الذي عرفه بعد الحرب العالمية مع ظهور انواع من التلفزيونات القارية وعبر القارية . ومن السذاجة ان نعتقد اليوم ان اي اكتشاف جديد في ميدان الثقافة يمكن ان يستأثر به بلد دون غيره .

فالحضارة هي نظام منفتح وتبعي . وهي في الوقت نفسه مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنظام الاجتماعي - الاقتصادي في البلد المعنى كما انها مرتبطة بمميزاته الثقافية . ولا توجد قط اليوم ثقافة خارج الخصوصية القومية وفي هذا المعنى تأخذ الحضارة حدودا وطنية وتؤلف بذلك نظاما مغلقا مستقلا . ولكننا نصادف هذه المرة ايضا التناقض التالي :

أ - الحضارة عالمية وتبعية .

ب - الحضارة قومية ومستقلة .

وحل هذه المعضلة هو ان الحضارة العالمية (فيما يختص بمستوى التطور الاقتصادي والثقافي الذي حققته على الكرة الارضية ككل) لا وجود لها الا بشكل مجموع حضارات قومية . فكل شعب يطور حضارته القومية يقدم مساعدة للتطور الحضاري العالمي ولهذا فان شكل التطور الحضاري العالمي لا يتم ولا يستمر الا باشكل قومية .

وهذا التعايل الذي قدمناه يستدعي خلاصة كبيرة الاهمية وهي ان تطور الحضارة غير قياسي .

او قام فيلياس فوغ بالرحلة التي يصفها **جول فيرن « ثمانين يوما حول العالم »** لكان يصادف انماطا متعددة ومختلفة من الحضارات . ومن المستحسن ان نميز الخصائص الوطنية في كل حضارة (بما فيها خصائص الحضارات التي لها نمط واحد) وخصائص مختلف انماط الحضارة لانه يتراءى لنا النمط الحضاري تابع :

اولا . لطابع ومستوى التطور الاقتصادي ؛ وثانيا ، للنظام الاجتماعي والاقتصادي . ولهذا السبب نلاحظ ان حضارتي فرنسا والولايات المتحدة هما من نمط واحد بينما يختلف نمط الحضارة البلغارية عن نمط حضارة الولايات المتحدة .

وهكذا نعتبر ان النمط الحضاري لا يمكن ان يحدد الا بعد الاخذ بعين الاعتبار كل العلاقات الاجتماعية - الاقتصادية المهيمنة في وقت من الاوقات . ولكن هنالك بالتأكيد تبادل مستمر للقيم الثقافية وتفاعل ثقافي بين حضارات مختلفة الانماط . لكن من المستحيل ان يكون هنالك انصهار وتلاق في نمط حضاري واحد . فهذه هي قوانين التطور الموضوعية في العالم الحالي وهذه القوانين لا نستطيع جهلها ، لذلك لا نستطيع ان نقبل الافكار الرائجة في عالم الثقافة المعاصر عن « الحضارة الصناعية الواحدة » او « حضارة المجتمع الصناعي » . وبالرغم من ان هنالك نقاطا مشتركة عديدة بين تطور العلم والتقنية فان هنالك اختلافا ظاهرا مهما كان التشابه بين مظهر الثقافة المادي وجوهر الثقافة الفكرية في هذه البلدان وهذا ما يحول دون القول بنمط حضاري موحد .

ويبرز في الفترة الحالية لتطور الحضارة اتجاهان يردان على مظهري التناقض المشار اليهما سابقا . فمن جهة اخرى اولى نرى ان التباين بين انماط الحضارة المختلفة يتقلص . ولئن كانت هنالك قارات غير متحضرة في بداية القرن العشرين تعيش حالات بدائية وليس لاجلبية سكانها ثقافة وطنية ، فكثير من شعوب هذه القارات لهم اليوم لفهم المدونة وحضارتهم تتطور بسرعة مدهشة ، واكثر ما يظهر ذلك في **الاتحاد السوفييتي** حيث اكتسبت عشرات الشعوب في العشرينيات الاخيرة لغة مكتوبة وابتدعت ادبا وكونت انتاجا قويا قوميا . فالشعوب التي كانت بعيدة عن التقدم بشكل او باخر تسهم اليوم بالتقدم الثقافي في البلاد كلها . ف**شعب المانسي** مثلا ، وهو شعب صغير يتكلم الفنلندية - الاوغريالية ، ويقطن في اقصى شمال **الاورال وسيبيريا القريبة** ، لم تكن له لغة مكتوبة قبل سنة ١٩١٧ وكان يجهل الالفباء جبلا كليا . اما اليوم فلم يعد هنالك امة واحدة في هذا الشعب .

(البقية على ص ٧٩)

عز الدين المناصرة

جفـفـرا

أرسالت لي دالية

وهجارة كريمة

- ١ -

من لم يعشق « جفرا » .. فليشتق نفسه .
من لم يعرف « جفرا » .. فليدفن رأسه .
من لم يقذف طلقته من أجلك يا جفرا
فليشرب كأس السم الأحمر ، يذوي
يهوي ... ويموت .
جفرا ... جاءت لزيارة بيروت .
هل قتلوا جفرا عند الحاجز ... هل وضعوها
في التابوت ؟؟؟
من لم يعرف « جفرا » ... ترفل بالزيتون ،
العنب الياقوت .
من لم يعرف « جفرا » منذ العثمانيين ...
تقاتل بالنبوت .
من لم يعرف « جفرا » تطعم زغباً اوراق ...
التوت .

من لم يعرف ((جفرا)) .. لا تعرف معنى القوت .
من لم يعرف جفرا ... فليدفن رأسه .
من لم يعرف جفرا ... فليدفن نفسه .

- ٢ -

تتصاعد أغنيتي عبر سهوب زرقاء ... وكان جراد ..
الأيام الآنية يزحف نحو الأخضر ، كدت أقول :
تشابه أيام المنفى ، كدت أقول :
تشابه غابات القتل هنا وهناك
تتصاعد أغنيتي خضراء وحمرًا ، الأخضر يولد
من دمع الشهداء على الأحياء ، الواحة تولد من
نزف الجرحى ، الفجر من الصبح إذا شهقت حبات
ندى الصبح ، افتتح الأخضر نافذة في وجه المجهول .
ترسانتي ((جفرا)) لموت ... ومن أجلك يا جفرا ،
تتصاعد أغنيتي ويهون الموت ... وأغنيتي :
يا جفرا أين ستأخذني عينك من الاحراش ...
الى الوادي من مدن الذبح الى بيروت .
يا ((جفرا)) من أجل رسائلك البيضاء القلب ...
ومن أجل دواليك ، حجارة واديك ، السيل ...
يشور ونرمي أنفسنا للموت ، الأشباح تموت .
منديك في جيبتي ، لم أرفع سارية الا قلت فدى
((جفرا)) ، ترافع القمامات من الأشجار من الأرضة
وكدت أقول .
زمن مر ، جفرا كل متاديلك قبل الموت تجيء .
في بيروت الموت صلاة دائمة ، والقتل جريدتهم ،
قهوتهم ، والقتل شراب لياليهم .
والقتل اذا جف الكأس مغنيهم .
واذا ذبحوا سموها باسمك يا بيروت .
هل كانت بيروت عروسا ، هل كانت
عادلة ، وهل الان جحيمك صوتك ..
هل كنت ملاذا وهل الان تكونين .
ساعوذ بعمال التبغ الجبلي ، أعوذ بقلعة ((صيدا))
بالبحر النازف سمكا مسكونا بالآباء .
ما كانت بيروت وليست في هذي اللحظة بيروت .
ان هي الا وجع التبغ ، صلاة الأخضر ، أجساد
المذبوحين اذا صاحوا : في الصبح نغير على الأعداء .

ان هي الا همهمة الصيادين اذا غضب البحر ...
عليهم ، ان هي الا جسد ابراهيم المتناثر فوق
الخيز امام القرن صباحا ، ان هي الا ...
ابناؤك يا جفرا يتعاطون حيننا للدالية الخضراء
ولاجبل الاخضر ، للنفع ينبت في احجارك ،
للخيل ، لباب القدس واسوار القدس ...
واسواق القدس وآثار الاجداد .
ولرب درس يمر البوليس عليه صباحا ومساء .
ما كانت بيروت وليست ، لكن تتوافد فيها الاضداد ،
تتصارع حتى تولد من غضب الصيادين حدائق ،
تزحف حوريات الماء وتهترى الاصفاد .
والقاتل بالطلقة والكره يموت .
حينئذ ، تصبح ... بيروت .

- ٣ -

للأشجار العاشقة أغني
للأرصقة الصلبة ، للحب أغني
الطلقة في صدر الفاشيست أغني
السيدة الحاملة الاسرار الثورية ...
تركض عبر الجسر الممنوع علينا ، تحمل
أشواق المنفيين الى شجر الزيتون أغني
لرفاق لي في السجن أغني
لرفاق لي في القبر أغني
للعاصفة الحمراء أغني
للولد الاندلسي المقتول على
النبع الريفي أغني
لننفع في حقل أعشقه رغم القتل
للتواصل في المنفى ساغني
ولجفرا المخطوفة عند الحاجز ،
كانت تبكي أحيانا وتصلي أحيانا لاله
الثورة ، تنفجر ، تمزق أعينهم ، تفرز اظفرها .
تخرج فقهة الضابط تتحدى .
هل قتلوا « جفرا » ... كانت صورة « لينين »
على حائط غرفتها في باب « الساهرة » الليلة جئنا
لننام هنا سيدي ، يا أم الاشجار وأم الانهار
وأم العنب وأم اللوز وأم المرج الاخضر .. هل

قتلوا « جفرا » .
 الأيلة جئنا لننام هنا سيدتي جئنا لنفني .
 لشوارع « صبرا » .. ساغني
 للشعر المكتوب على أرضفة « الشياح » .. اغني
 وليبروت الطلقة ساغني
 للعمال المطرودين .. اغني
 ولجفرا .. ساغني
 « جفرا » ... لم تنزل وادي « البادان » ...
 ولم تركض في وادي شعيب .
 وضاغتر « جفرا » قصوها عند الحاجز ...
 كانت حين تزور الماء .
 يعشقها الماء وتهتز زهور النرجس حول الأنداء .
 « جفرا » أمي - ان غابت أمي - جفرا الوطن المسبي ..
 الزهرة ، والطلقة والعاصفة الحمراء .
 جفرا - ان لم يعرف من لم يعرف - غابة زيتون ،
 ورفيف حمام وقصائد للفقراء .
 جفرا - من لم يعشق جفرا فليدفن رأسا في الرمضاء
 أرخيت سهامي قلت يموت القاتل ، من لم
 يقتل وجه الغول الأصفر تلمعه الصحراء .
 جفرا .. كانت في قصر الاقطاعي تنوح .
 جفرا ... كانت في الجبهة تحمل طلقتها وتبوح
 بالسر المدفون على شاطئ « عكا » وتغني .
 وأنا لعيونك يا « جفرا » .. ساغني .
 كانت ... والان تعلق فوق الصدر مناجل للزرع وفوق
 النهدي نباتات برية .
 النهدي على النهدي .. الزهرة تحكي للنحلة ، الماعز سمراء ،
 الوعل بلون البحر ، القابة مثل عيونك يا جفرا .
 وهناك بقايا الرومان : السلسلة على شكل صليب ،
 هل عرفوا شجر الشوك ، ... حقول الذرة حنيني
 للبئر والدوري المستانس بالاهل وقايني مدفون ...
 تحت شجيرة برقوق .
 قلبي تنقذه الطلقة ، غممة الشجر الصيفي اذا
 هبت ربح قرب القيسوم ، الشيخ البري ...
 وقايني في شارع سرو مصفوف ، قلبي
 في المدرسة وفي النادي في الطل الاسمر في

الشارع في السوق .
جفرا ، اذكرها في الوادي تحمل جرتها ، اذكرها
تطلع في الباص واذكرها ترعى الماعز ، آه الماعز
اسمر بين زهيرات الوديان نفاء يملأ قلبي الان
هنا في المنفى عشقا للموت المقيلا ، أقبل نحو الموت ،
كمائنتهم تبعد أمتارا والقلب مشوق .
من لم يعرف « جفرا » ... فليشنق فرحته
في بار شتوي . القاتل وعدي والرعيدي ...
المشنوق .
من لم ينقذ جفرا فليدفن نفسه .
من لم يحمل طاقته ويدافع عن جفرا
فليدفن رأسه .
من يشرب قهوته في الفجر وينسى جفرا
فليدفن نفسه .
جفرا كانت تبكي في « الكرمل » تبكي
في بيروت .
و « ابو الليل » الاخضر من اجلك يا جفرا
يقذف طلقته ... ويموت .

كاتب ياسين - أسير اللغة الفرنسية

العائد الى الام العربيّة !

ولد كاتب ياسين عام ١٩٢٩ . تلقى علومه الابتدائية في كتاب عربي ثم التحق بمدرسة فرنسية ، لكنه فصل منها وهو في الخامسة عشرة من العمر لاشتراكه في التظاهرات الجبارة التي شهدتها الجزائر عام ١٩٤٥ ضد الاستعمار الفرنسي ، واستشهد في تلك التظاهرات حوالي ٥٠٠٠ جزائري . عام ١٩٤٦ صدرت له مجموعة شعرية بعنوان «نجوى» . غير ان شهرته بدأت مع صدور مسرحية «الجنة المطوقة» عام ١٩٥٥ ، وفي تلك الفترة التقى كاتب ياسين بالاديب الالماني الشيوعي الكبير برتولد بريخت ، واستفاد من تجربته فائدة كبيرة .

لقد أحب كاتب ياسين شعبه ووطنه حبا عميقا فاده في نهاية المطاف الى الحزب الشيوعي ، وهو يرى ان «على الشاعر والكاتب والمثقف ان ينخرط في الحياة السياسية التي يملؤها الشعب . كما ان على الكاتب ان يمتلك علاقات صحيحة بالشعب ، وهذا يتحقق بالتزام الكاتب في تنظيم ، أي في حزب» (من حديث له مع الناقد المسرحي والسينمائي السوري سعيد مراد ، أجراه في موسكو) .

التقيت بكاتب ياسين قبل حوالي خمس سنوات ، في ضيافة اتحاد الكتاب السوفيت ، وفي اطار احد مؤتمراتهم . كان هناك مئات من ادباء العالم وادباء الوطن العربي غير ان ألفة وثافتها متميزين نشأا بيننا بالذات ، بين ابن الشعب الجزائري وابن الشعب الفلسطيني ، وأذكر ان أحاديثنا كانت مفعمة بحرارة مأساوية خاصة . قرأ لي كاتب ياسين فصلا من مسرحية جديدة باللغة الفرنسية . لا أعرف من الفرنسية سوى القليل القليل مما رسخ في الذاكرة من أيام الدراسة البعيدة ، لكنني فهمت ما قرأه على كاتب .. على الاصح ، أحسست بذلك وانفعلت به .. انه يكتب عن قضيتنا المشتركة ، القضية الفلسطينية !

وبومها ، بدا لي كاتب «معددا» بالانقسام ، من جراء الغربة التي يعيشها .. الغربة بين لغته الفرنسية واحساسه العربي . وكما كان كاتب ياسين سعيدا وفخورا حين «نجح» في كتابة اسمه بالعربية على كتاب ما زلت أحتفظ به الى اليوم .

في الآونة الاخيرة قرأت حديثا صحفيا مع كاتب ، أسعدني جدا ، فقد وجد كما يبدو منفذا للخلاص من عقدة الاغتراب اللغوي . انه يقول في ذلك الحديث : « قالوا عني باتي اذا ما خرجت من محيط اللغة الفرنسية ، فأنني ساموت وانتهي ككاتب . وها آنذا خرجت من محيط اللغة الفرنسية وكتبت بلغة الشعب ، باللغة العربية الدارجة ، وقدمت مع فرقتي ، ولادة تزيد عن الثلاث سنوات ، مئات العروض لأكثر من ٥٠٠٠ متفرج ، كلهم من العمال ! »

ألا نرون الدلالة الهائلة في هذا الرقم (٥٠٠٠) ؟ الذي هو عدد شهداء الجزائر الحبيبة عام ١٩٤٥ ، وعدد العمال الجزائريين الذين شاهدوا مسرحية كاتب ياسين باللغة العربية ؟؟

فيما يلي نقدم للقراء إحدى مسرحيات كاتب ياسين . ليست هذه من أحسن مسرحياته ، ولا هي من أحدثها . والحقيقة ، أننا نقدمها لأنه لا يتوفر بين أيدينا اليوم ، سواها . لكنها على أية حال تعطى فكرة ما عن إبداع هذا الكاتب العربي الملم الذي استطاع أن يفرض حضوره الادبي الحار ، على فرنسا ، على الوطن العربي وعلى العالم .

سميح القاسم

كاتب ياسين

العود والحقيقة (مسرحة)



١

نجمة : اذهب لتحضر ماء .
(يتعد علي نحو البئر ، وفي يده دلو . يرى القمر البدر فوق
رأسه .)

علي (منحنيًا فوق حافة البئر) : يا الهي ، القمر في البئر ! لا شك انه زلق .
لكنه لم يمت . ما يزال يلمع . سأنشله .
(يدير الخزيرة مرارا دون فائدة .)

نجمة : علي !
علي (شادا على الحبل) : ما كنت أظن القمر بهذا الثقل .
(ينفك الدلو . يقع علي الى الوراء والحبل في يده ، فيتأمل
السماء ، وهو مبطوح على ظهره ، ويتهم القمر ، هذا
الجاحد : يحسب علي أنه انقذ القمر .)

علي : ايها القمر ، لقد خدعتني
انتشلتك من البئر
وها أنت تهرب !
كما لو أنك لاتعرفني .
نجمة : علي !

علي (للقمر) : من أجلك انفك دلوي ،

نسيت أمي ، وأدق عنقي ،

وفوق هذا تسخر مني !

إذا ، الوداع . (يمر وقت .)

ما العمل الآن لسحب الدلو ؟

(يعود إلى البئر وينحني من جديد .)

حسناً ! ها أنت مرة أخرى

تقع في الماء

لكثرة ما لعبت لعبة الأرجوحة ، فوق

في قصرك ، قصر الساحر .

لكن هذه المرة لا تتكل علي .

أسبح أو اهلك

يا كعكة الشمع القذرة !

(علي حدة) في الحقيقة

يستحق الموت .

(تدخل نجمة ، غاضبة .)

نجمة : أهكذا تطيعني ؟

علي (راداً ضربة موجهة إلى رأسه) : لست أنا ، إنه القمر .

نجمة (تغادر المرح) : مثل أبيه .

أنه مثل أبيه .

يسكنه روح شرير .

(بعد ذهاب أمه يعود إلى البئر ويصمم على رجم القمر .)

علي : هيا ، خذ هذا ! وهذا !

عشاً تخفق

فلن تفلت مني .

(تمر غيمة . اختفى القمر .)

علي (لاهثاً) : وأخيراً ، أصبته .

ها أنا مطمئن الآن .

أمي بعيدة ، وعندي هنا خدروف

يقصف كطائرة .

(يسحب من جيبه خدروفا . من أول دفعة يكرج ، ضائعا ،

وراء الكواليس .)

علي (باحثاً) : أين هو ؟

أين يمكن أن يكون خدروفي ؟

(تنقضي الفجوة ، ويعود القمر يضيء المسرح ، بينما يتأمل
عالي ، مصعوقا ، الكوكب الذي ظن انه قتله .)

علي : كيف ؟ لم يموت ؟

ربما كان هذا شقيقه .

(تدخل نجمة)

نجمة : ماذا تفعل هنا ؟

عالي : اضعت خذروفي .

نجمة : أين ؟

علي (مشيرا الى الكواكس) : من هنا .

نجمة : وتبحث عنه هنا !

عالي : لأن هناك مظلم

بينما هنا منضاء !

نجمة (على حدة) : لقد آن ارساله الى المدرسة .

٢

(يدخل الطالب ، وفي يده مقرعة ، يلحق به ثلاثة تلامذة ،
هم المنحوس ، الخابط الليلي ، والطقس الرديء . يرددون
معا درس الطالب .)

الطالب : أترون هذه العصا ؟

انها آتية من الفردوس .

وكلما ضربتكم

فانما لخيركم .

الجوقة : نرى هذه العصا

انها آتية من الفردوس .

وكلما ضربتنا

فانما لخيرنا .

الطالب : والآن ، اسألوني .

ما هو الفردوس ؟

الجوقة : ما هو الفردوس ؟

الطالب : الفردوس بلد

انهار ، وحدائق

وازهار دائمة الفوح .

الجوقة : الفردوس بلد

انهار ، وحدائق
وازهار دائمة الفوح .

الطالب : وما هي الجحيم ؟
الجوقة : وما هي الجحيم ؟
الطالب : الجحيم هاوية
جمر ، ولهب ودخان
يدخرج الله اليها
جميع الخلائق المطرودة من الفردوس

الجوقة : الجحيم هاوية
جمر ، ولهب ودخان
يدخرج الله اليها
جميع الخلائق المطرودة من الفردوس
الطالب : اعيدوا الدرس كله

الجوقة (مجتهدة) : الجحيم ... الفردوس
الجحيم ... الفردوس ... الجحيم ... الفردوس .
(يلعب الطالب بالهراوة على ايدي التلاميذ الاربعة وارجلهم ،
وهو ساهم وغامض ، والتلاميذ يواصلون الغمغمة .)

الطالب : ستتعلمون غيبا
درس اليوم .
انا مضطر الى الخروج لحظة .
عند عودتي ، سأطلب منكم
أن تسمعوا دون غلط .
دون ادنى غلط ، مفهوم ؟
الجوقة : مفهوم .
(يغادر الطالب المسرح ، تاركا مقرعته .)

الخابط الليالي (بعد مرور وقت) : برد ! برد .
المنحوس : انطفأت النار .
الطقس الرديء (مشعلا عود ثقاب) : يلزمنا بعض الحطب .

علي : خذ ، هذه عصا الاستاذ .
(يتناول علي المقرعة ويرميها في الموقد . يتدفأون . يدخل
الطالب .)

الطالب : أهكذا أعود فأجدكم !
الجوقة : كنا نتعلم درسنا .

الطالب : بحرق مقرعتي !
المنحوس : كنا بردانين .
علي : كان هذا تمرينا .
الطالب : اقترب قليلا . لا اسمعك جيدا .
علي : قلت لنا ، يا استاذ ، ان العصا آتية من الفردوس .
الطالب : حسنا . ثم ؟
علي : ثم قلت لنا ان المطرود من الفردوس يذهب الى الجحيم .
الطالب : يعني ؟
علي : كل ما فعلت انني اعدت العصا الى مكانها !
الطالب : بالقائها في النار !
علي : لقد خَرَجَتْ من الفردوس ، ومن العدل ان تذهب راسا الى
الجحيم .
الطالب : اخرج من هنا !

علي (آخذا بالنظطة والدوران حول نفسه) : طردت من فردوس محض
قرآني
انتي ، للأسف ، فريسة
فرح جهنمي
للأسف ، للأسف ، للأسف !
الجوقة : نحن ايضا ، يا استاذ ،
مذنبون !

الطالب (متضايقا) : اذهبوا عني ، اخرجوا جميعا !
(الاربعة المطرودون يخرجون وهم يطلقون صيحات الفرح .)

٣

(علي ، وحده . تدخل نجمة .)

نجمة : الطالب لم يعد يريدك .
سارسلك اذن الى المدرسة الفرنسية .

لكن حذار !
اذا طردوك هذه المرة ،
لن تعود الى البيت .

(علي يتعبد . يمر وقت . مشهد خروج مصطنع . يرجع علي
الى المسرح حاملا اغراضه .)

نجمة : تعال ، احك لي .
هل تفضل المدرسة الفرنسية ؟

علي : لا اعرف .
نجمة : ماذا فعلتم اليوم ؟
علي : انشدنا « المرسيلياز » .
نجمة : ثم ؟

.....
.....

علي : انه قانون جديد
اذا كان زر التلاميذ مفكوكا

يبقى ثمانية ايام
خارج المدرسة .

نجمة (ممسكة فرشاة) اذن ، ستكون نظيفا .
هيا الى الحمام .

(يخرجان . علي يحتج . يسمع وهو يصرخ وراء الكواليس .)

٤

(الجوقة تحتل المسرح بكثافتها . انه يوم السوق .)

الجوقة : لا شيء للبيع .

رئيس الجوقة : وكيف نشترى ؟

الجوقة : لا مال .

رئيس الجوقة : لا تجارة .

الجوقة : لا عمل .

رئيس الجوقة : لا ثقة .

الجوقة : ولا ذرة من انسانية .

رئيس الجوقة : انها الحرب .

الجوقة : انها المجاعة .

رئيس الجوقة : انه التيفوس .

الجوقة : والسجون دائما ملائ .

رئيس الجوقة : من اجل كمية من القمح

يجب ان يكون معك بطاقات

او تدفع السعر ثلاث مرات .

الجوقة : يجب ان ناتي من بعيد

سيرا او على ظهر حمار

٤٠

تحت الشمس أو في الثلج .
رئيس الجوقة : يجب أن ننتظر أياما بطولها
وغالبا لا تنال سوى الوعود
والشتائم أو الركل .

الجوقة : من أجل ليتر زيت .
رئيس الجوقة : من أجل متر قماش .
الجوقة : من أجل قطعة صابون .
رئيس الجوقة : يجب أن نخفي ظهورنا .
الجوقة : ونعود بخفي حنين .
رئيس الجوقة : مرضى أو جياعا .
الجوقة : انها الحرب .
رئيس الجوقة : انها المجاعة .
الجوقة : انه التيفوس .
رئيس الجوقة : المستشفيات دائما ملأى .
الجوقة : في كل مكان يلمئون المجانين والجثث .
رئيس الجوقة : جميع الحشرات تنهشنا .
الجوقة : وحتى التبغ يختفي .

(فترة صمت . رئيس الجوقة ينتزع عن حاله القمل . يدخل
علي ، والمنحوس ، والخابط الليلي ، والطقس الرديء . بين
شفتي كل منهم سيكارة .)

علي (لرئيس الجوقة) : خذ ، يا أخي ، أتدخن ؟
رئيس الجوقة (نهما) : شكرا ، أخي .
علي : أعرني جلابيك .
رئيس الجوقة : جلابي ؟
علي : لحظة فقط .

لا عليك .

سأبقى هنا ، قريب .
لكنني بحاجة الى بعض القمل ...
رئيس الجوقة (مذعورا) : بحاجة الى قمل ؟
علي : نعم ، من أجل اختبار ،

لأننا في المدرسة ندرس

جميع الكائنات

دون تمييز في الجنس أو الدين ...

(في اثناء كلامه يمسك علي بالجلاب الفسائر بالحشرات ،

ويجمع ، بشكل واضح ، افضل القملات ، ثم يضعها في علة .
ويفعل أصدقائه الثلاثة الشيء نفسه بجلايبب أخرى
استعاروها من أشقياء آخرين . يمر وقت . تدخل الجوقة في
الظل . يصل بعض التلاميذ . يسمع قرع جرس الصباح .

علي (صارخا) : الحرية بقملة !
الطقس الرديء : اشترى قملا مضمونا !

معلوفاً ، بارزاً !

الخابط الليلي : القملة بفرنك !

المنحوس : أنا أدتي !

علي : الحرية بقملة !

الأربعة معاً : الحرية بقملة !

(يندفع التلاميذ ، فرحين ، نحو العلب الأربعة ، كل منهم
يأخذ عدداً من القمل يعاقها على ثيابه بشكل مرئي . الخابط
الليلي يألم المال . يمر وقت . يدخل المدرس ، مسيو
كليمان ، الى المسرح .)

مسيو كليمان : الصمت !

بالصف ، اثنين اثنين .

أدخلوا .

(يمر وقت . أصبح التلاميذ في الصف . مسيو كليمان وراء
طاولته . فجأة يفجر المشاغبون الأربعة الضجيج والصياح .)

علي (مشيراً الى الطقس الرديء) : استاذ ، استاذ ، معه قمل !

الطقس الرديء : لا ، استاذ ، انه هو ، انظر !

الخابط الليلي (مشيراً الى المنحوس) : استاذ ، استاذ ، معه قمل !

المنحوس (مشيراً الى الخابط الليلي) : لا ، استاذ ، انه هو ، انظر !

جوقة التلاميذ : استاذ ، استاذ ، معه قمل !

مسيو كليمان (مدعوراً) : اخرجوا ، اخرجوا كلكم !

اخرجوا من هنا اخرجوا !

قمل في صفي !

في عز وباء التيفوس !

اخرجوا ، اخرجوا كلكم !

(خلسة ، يضع الخابط الليلي قملة على قميص مسيو كليمان

الابيض .)

الطقس الرديء : أنت ايضا ، استاذ !

أنت ايضا عليك قمل !

اخرج ، اخرج من هنا !

مسيو كليمان (هاربا) : ايها الجنس القذر ! ايتها المهنة القذرة !
لهذا أحسنتي مضحكا ...

لا شك أنني محموم .

لا شك مطلقاً ، انه التيفوس .

ايها الجنس القذر ! ايتها المهنة القذرة !

التلاميذ (يغادرون المسرح) : الحرية بقملة !

(تدخل نجمة ، وحدها .)

نجمة : مثل أبيه .

انه مثل أبيه .

يسكنه روح شرير .

أين أجد له استاذاً جديداً

وقد طرد من جميع المدارس ؟

٥

علي (وحيداً في الصحراء) : ظل هبط عليّ ،

وركضت في الصحراء

علي مطار من الحصى ،

وكان شبح العقاب عليّ .

من لم يصرف ليلة

في بؤبؤ طائر جارح

هل يعرف بأي أيقاع

ينزف الدم الاسود

من قلب عضه الذعر ؟

أنا عرفت ذلك ،

وذرفت دموع الرعب

وشبح العقاب كان عليّ ،

لم يتوقف عن مطاردتي

منذ ساعة الخطف والهرب ،

ومنذ ذلك الحين ، ودون كلل ،

أراقب واقتل

لأبعد الطائر عن الظل

وذرفت دموع الجنون .

(يضطجع علي في فيء النخلة . يمر وقت ، ثم يرى بعض

البدو وهم مقبلون ، وقد أثارهم الفضول .)

الجوقة : هذا القريب مرة أخرى ! أليس عنده ما جاء آخر

وها نحن نعود فنجد ملقى في حمى شجرة

دون ان يكون قد سال شيئا ، ولا قال شيئا ، ولا سال شيئا .
رئيس الجوقة : عقاب يحوم فوق رأسه : لعله محكوم ؟
كنت اود لو اقول له كلمة ، لكنه من الصعب دائما
ايقظ انسان دون مناداته باسمه .

علي (منتصبا على قدميه) : ماذا هناك ؟
رئيس الجوقة : هدهوء ، يا رجل ، لماذا تأتي هذه الحركة الدفاعية

امام الشعب الذي لا ماخذ له عليك ؟
قل لنا فقط من أين أتيت ؟
دعنا نضيفك ، التقاليد تقضي ذلك .
(يمر وقت . رجع علي الى محله تحت الشجرة ، دون ان
يجيب .)

رئيس الجوقة (بصوت خافت) : لا شك انه اصيب بضربة شمس ...
(الجوقة تتهاشم على حدة ، وكل واحد منها يهز رأسه ، ثم
تشير الى احدى الشجرتين حيث يتصاعد دخان كثيف ، ثم
تلتفت الى علي .)

رئيس الجوقة : أترى هذه الشجرة ؟ أترى الدخان خلف الشجرة ؟
علي : نعم ، أرى .
رئيس الجوقة : هناك حشائش ، فيلسوف شعبي . يبحث عنك .
ينتظرك .

الجوقة (على حدة) : لقد خلقنا الواحد للآخر .
(يبرز شرطي ، يتوجه رأسا الى علي .)

الشرطي : أوراقك .
علي : ليس معي اوراق .
الشرطي : أتبعني .
سحابة الدخان : أنتظرا .
(لعلي) تسافر دون اوراق ؟
عالي : بلادي في حرب .
سحابة الدخان : لا يهم .

حاكم المقاطعة
جشع ماجور وجاهل .
لكن سأخذ علي
أمر تسجيلك بأسرع ما يمكن في دوائر النفوس ،
وكل ما يلزمني أصيب واسع ...
رئيس الجوقة : هذا أصيب أزهار .

سحابة الدخان : لا ، لا لزوم للازهار

فاننتزعها

ولنحتفظ بالتراب

بل لنسقه أيضا

لنجعله أنقل .

ولنضيف اليه أخيرا طبقة من السمن

ولنجس بالانتظار ...

(يتعدون . يمر وقت . يبقى سحابة الدخان وحده . يرجع

على الى المسرح وفي يديه ورقة .)

سحابة الدخان : هل كذبت عليك ؟

علي : استقبلني بكل ترحاب .

(يدخل الكاتب الاول من كتاب الحاكم .)

الكاتب : أنا اول كاتب في المقاطعة

حضرة الحاكم

يشكرك ويحييك

ويرجوك حالا

أن ترسل اليه

شهادة الولادة

التي ستأتم اليك

اليوم ، بناء لأمره .

فهذه الوثيقة تعج بالاغلاط

التي قد تجعلها بلا أي قيمة .

يجب أن نصحح هذه الاغلاط

من أجل راحة ضمائرنا .

سحابة الدخان : قدّم احتراماتي .

لحضرة الحاكم

اجبه أن هذه الوثيقة

تبدو لي خالية من أي شائبة

وأجبه أيضا

بأن ألفظة الوحيدة المؤسفة

موجودة في فقر أصيص السمن .

٦

(سحابة الدخان يذرع ارض المسرح ، وبأبوجه في يديه .)

سحابة الدخان : السلطان أهدي اليّ هذا البسابوج المطرز بالذهب .

هو يقول ان فيلسوفاً مثالي مشهوراً لا يجسوز أن يعرض
اصابع قدميه للحصى . يا له من عاهل ! ألم يتضاعف تعذيبي
بهذا الحذاء الامبراطوري ؟ من جهة ، لا استطيع ان انتعله
مخافة تلويثه ، ومن جهة أخرى أراني مضطراً لحمله ، سرّاً ،
وكان فردتي هذا البابوج طفلان لا شرعيان ! ويذكرني ذلك
بشيء . فلقد تعلمت السرقة في الجامع . كنت قد تركت
حذائي عند باب الدخول ! مثل الجميع وعيثاً فتشت ،
بعد انتهاء الصلاة ، تحت الحضر !
أي ! أي !

(تنهال الحجارة على سحابة الدخان . يدخل علي الى
المسرح ، تتبعه الجوقة التي تعود فتتخفى .)
علي : جئت لأخذ الدرس .
سحابة الدخان : سنبدأ بالأفعال الناقصة .

(يمر وقت . يبدأ سحابة الدخان اعطاء الدرس . يسحب
علي لوحه .)

رئيس الجوقة (يقترب وعلى رأسه طبق) : هذان قرنا غزال ، من قبيل
المفتي .

سحابة الدخان : يا لهذا المفتي الحبيب ! شكراً . ستقول للأقرن بامكانه
أن يفخر بفزالته .

(يضع رئيس الجوقة الطبق ويذهب . قرع طبول .)

رئيس الجوقة (عائداً) : السلطان يطلبك . الأمر مستعجل .
سحابة الدخان : حقاً أصبحت لا غنى عني لهذه المملكة !

(لملي) : انتبه لهذا الطبق . يحتوي على سكريات مسمومة
لأحد المتأمرين . لا تلمسه .

(ينسحب سحابة الدخان . يرفع علي الفطاء عن الطبق .

علي : اطمئن .

يراقبه رئيس الجوقة الذي لا يبدو انه في عجلة من الذهاب .
قرع طبول .)

علي (وهو يأكل) : ما أغرب الحياة ! ما ألد الموت بالسم !

رئيس الجوقة (حاسداً) : أنا أيضاً سئمت الحياة .

علي (مبتلعاً آخر قطعة من الحلوى) : ليس الجميع تلامذة لسقراط .
(يمر وقت . ينسحب رئيس الجوقة ، ذليلاً .)

علي : يا لهذا الحبور ! لا ريب أنني أصبح الى الفردوس ، ومع هذا
يجب أن أبكي ...
(يأخذ بالبكاء ، مبتلا لوجه .)

سحابة الدخان (داخلا وهو يفكر أمام الطبق الفارغ) : ابن الحرام !
علي : استاذ ، لقد وسخت لوجي ونسيت كل ما أمليته علي .
وبما أنني اعرف سخرتك الصارمة ، فقد رغبت الموت
وأكلت هذه السكريات المسمومة ، رغم تحذيرك !

سحابة الدخان : ابن الحرام !
انه من هؤلاء التلاميذ
الذين لا ينتظرون
نهاية الدرس .

٧

(سحابة الدخان نائم على الحصرية الزوجية . عتيقة ،
زوجته ، جالسة في زاوية ، أمام حزمة تمر ، تضيئها شمعة .
سحابة الدخان يتقلب على الحصرية .)

سحابة الدخان : اطفئي الضوء .
عتيقة : اتساءل ما الذي يتعبك .
سحابة الدخان : اطفئي الضوء .
عتيقة : لا شك أنك لست نفسانا .
لم تتوقف عن التقلب والدوران ...
سحابة الدخان : اطفئي الضوء .

منذ ثلاثة ايام لم يغمض لي جفن .
عتيقة : تريد أن تقول أنك نمت
ثلاثة ايام بلياليها .

سحابة الدخان : اذن لا شك أنني حلمت
اطفئي الضوء .
عتيقة : انك تحببني !
ندور في مكاننا ،
مثل عقربي ساعة ،
وأنت دائماً بلا عمل .
وأنا ، انتظرك ،
وأعد الساعات .

سحابة الدخان : نامي .

وخليني أنسام .
اليس لك أي ثقة
بالثورة ؟

عتيقة : وأي ثورة !

منذ زواجنا
وانت كل يوم دأنخ ،
لقد برموا لك رأسك .

سحابة الدخان : اطفئي الضوء !

ماذا تنتظرين ؟

يوم الحساب ؟

اللسهر مع مبيت
تحرقين هذه الشمعة ؟
اطفئي الضوء !

عتيقة (فاتحة إحدى التمور) : انظر !
في هذه الثمرة دودة !

سحابة الدخان : أرايت ؟

لو أصغيت لي ،
لو أطفأت الضوء ،
لكنك أكلت هذه الثمرة
كالتمور الأخرى ،
سواء بدودة أو بغير دودة ،
ولكننا الآن في سلام .

عتيقة (متنهدة) : آه ! كم أناسف

على زوجي الأول !

سحابة الدخان (مقلداً إياها) : آه ! كم أناسف

على عزوبيتي !

عتيقة : ما كان قط

يعاملني هكذا

الرجل الذي فقدت

لأقع بين يدي

هذا الجلف الذي لا يتكلم إلا بالأمثال

سحابة الدخان : هو البؤس ما دفعني
الى هذا الزواج المصلحي .
كان خيراً لي لو كنت مسيحياً ،
ودخلت الى الدير ،
ولبست الثوب .
خير لي أن أحد على رجولتي
من أن أكون قد تزوجت الارملة النفاقية !
لا تعرف أن تتكلم الا عن المرحوم الأبلة
الذي حلت محله ،
الذي قتلتته كما تقتلني ،
من فرط النقي .
ولو كانت وحدها مع شبحها الذي لا يفارقها

لهان الأمر .
لكن معها أيضاً أمها ،
ارملة السوء الاخرى .
الخلاصة : ها أنا مأخوذ
بين الشمطاوين ،
وبين ظل غريم
رقد الى الأبد
بينما أنا ممنوع
عليّ النوم دائماً .
(عتيقة تسأل ، بصمت ، الى قربه . يدفعها عنه بقوة .)

عتيقة (مصيحة) : ماما ! ماما !
ليلى منيرة (ظاهرة بفتة) : بنتي ! بنتي !
ماذا فعلت بنتي ؟
سحابة الدخان : بنتك ؟ تهاني .
انها مناجية ارواح من الطبقة الاولى .
لقد فاجأتها ،
على مضجعي أنا ،
مع زوجها الاول ،
رغم انه مات من زمان .
وبما انه لم يكن هناك مكان كاف
لثلاثة اشخاص
فقد أمرت الخاتنة

أن تنتظر على الأرض
ريشما يتكرم المرحوم ،
تفمده الله برحمته ،
وينخلي المكان .
تلك هي كل وحشيتي .
أين تجددين صهراً
بمثل هدوئي ؟

(كجواب وحيد على سؤاله ، تترمي ليلى منيرة وعتيقة على
سحابة الدخان ، وتنهالان عليه ضرباً . يسمع وهو ينزل
السلم وسط الضجيج . تهرع الجوقة .)

الجوقة : ماذا هناك ؟ ماذا هناك ؟
سحابة الدخان (ذليلاً) : لا شيء . لا شيء .
مجرد سروال ...
سحابة الدخان : وقع من فوق .
الجوقة (ساخرة) : كل هذه الضجة
بسبب سروال ؟
سحابة الدخان : وللأسف
كنت في داخله !

٨

(تدخل عتيقة ، وحدها .)
عتيقة (على حدة) : أما كفاني
أن يكون فيلسوف فقير
زوجاً أبدياً لي
حتى يفرض عليّ أيضاً تأميذه ؟
لكن أين هو ، هذا المتشرد ؟
علي (بارزاً) : ها أنا .
عتيقة : اعطني يدك .

(يجوبان السوق . تشتري بضع دجاجات ، وديكا محبوساً
في قفص . ثم تشتري حزمة تبين للحمّار الذي يحمل كل
الحمل : حزمة التبين من جهة ، والدجاج والديك من جهة
أخرى .)

عتيقة : ارجع إلى البيت ،
ضع كل شيء ،
وعد لتأخذني .

يجب أن ابتاع حوائج أخرى .

علي : حسناً .

(يتعد . تفادر عتيقة المسرح .
علي (متاملاً القفص) : يا للحيوانات المسكينة !
إنها تذوق مر العذاب
في هذا القفص الضيق ،
سأطلق سراحها ،
وأدعها تمشي أمامي .

(يفتح القفص . تفلت الدجاجات) .

علي (لاحقاً بها) : من هنا ! من هنا !

(يختفي كل اثر الدجاج . يصل علي ، أخيراً ، إلى الديك .)

علي :

يا عديم النفع !
أنت الذكر ، ولا تعرف حتى
أن تجمع حريمك ،
ومع هذا تتباهى .
لقد جنيت على نفسك .
ستظل سجينني .
(يعيد الديك إلى القفص . يمر وقت .)

علي : هذه المطاردة أنهكتني .

سادخن سيفارة .

(يمتطي الحمار ويشعل قداحته دون أن ينتبه إلى حرمته
التبن . تنتقل النار إلى ظهر الحمار الذي ينطلق راكضاً ،
ومؤخرته مشتعلة بالنار ، بينما يقع علي أرضاً وبعض التراب .
من دون أن يفعل .)

علي (للحمار) : آمل أن تمضي رأساً إلى الجدول .

تعرف أين هو .

أما أنا فانتظره هنا .

٩

(علي راكباً على الحمار الذي يمسك سحابة الدخان رسنه .
في مقدمة المسرح تلبث الجوقة تنظر إلى الرجاين والحمار وهم
قادمون .)

الجوقة : هذا الشاب

دون أي تربية .
كان بإمكانه ، حسب العرف ،
أن يترك المكان للأكبر منه .

(علي بترجل .)

علي : لا تؤاخذني .

لم أفكر في ذلك .

لم أفكر في ذلك .

اصعد ، أرجوك .

(سحابة الدخان يأخذ محل علي .)

الجوقة : انظروا هذا الفشاش

أنه يحمل

دون أن يهتم لرفيقه

الذي يرهق نفسه في الإحاق به .

سحابة الدخان (لعل) : اصعد معي .

(علي يمثل .)

الجوقة : ألا يخجلان

من أن يركبا الحمار معاً ؟

سحابة الدخان (لعل) : فالنزل كلانا .

(يمشيان وهما يدفعان الحمار أمامهما .)

الجوقة : احمقان يسوقان حماراً .

وليس فيهما من يفكر في ركوبه .

علي : أهذا هو صوت الشعب ؟

سحابة الدخان : امش ولا تصغ .

يعرف الحمار من أذنيه الطويلتين

امش ولا تصغ .

١٠

(سحابة الدخان يفادر المسرح . تدخل عتيقة .)

عتيقة : اسمع

سأقوم بزيارة لصديقة .

هناك رجل سيحمل حزمة حطب .

سوف أترك الباب مفتوحاً .

أنت تبقى أمام الباب

ولا تتحرك حتى أعود .

علي (مردداً) : ستقومين بزيارة صديقة .

هناك رجل سيحمل حزمة حطب .
سوف تتركين الباب مفتوحاً .
أما أنا فأبقى امام الباب ،
ولا اتحرك حتى تعودين .

(عتيقة تخرج . يدخل سحابة الدخان .)

سحابة الدخان : أين زوجتي ؟

علي : عند صديقة .

سحابة الدخان : هيا ، اذهب وراءها .

انني بحاجة الى قميص نظيف .

ستحمله لي الى المقهى .

(سحابة الدخان يخرج .)

علي : فلنراجع

علي : ان ابقى امام الباب

وعلي : ايضا ان اتغيب .

حسناً . لننتصر ف بنظام .

(يخلع الباب ، يحمله على ظهره ، وياخذ في المشي . عند

منتصف الطريق يصادف عتيقة التي تتقدم ، متوقدة .)

عتيقة : ايها الشقي ! اراهن

ان جميع زعران الحي

دخلوا هذه الساعة الى بيتي !

علي (مترجماً) : يلزمي قميص نظيف ...

عتيقة (حاتقة) : اعطني هذا الباب !

علي (هارباً) : لا تنسي القميص !

١١

(يدخل السلطان والمفتي وبعض الاعيان الآخرين . يعقدون

اجتماعاً . الجوقة في مقدمة المسرح تحرك مكانسها وسط

غيوم كثيفة من القبار . بعيداً عن الفريقين - الجوقة

والاجتماع - سحابة الدخان مستغرقة في غليونه .)

سحابة الدخان : بئس ، بئس ، بئس الفلسفة .

السلطة في غنى عن العقول الهدامة

والشعب لا يقدر ان يسمعي

واذناه مسدودتان

٥٣

بضجيج السلطة الهائل ...
(ترتفع من الاجتماع ضجة ، ثم يسمع صوت السلطان .)

السلطان : ما نفع الفلسفة ؟
ليست هي النظريات
ما سيحصل الضرائب .
ما نحتاجه هو الذهب في خزائنا
والاتفاقات مع الدول الخارجية
للتخفيف عن الشعب
دون نسيان خدام الدولة

الاعيان : دون نسيان خدام الدولة .
المفتي : وحده الله قادر ان يساعدنا .
وقى الله شعبنا
شر المشاغبين الدائمين .
وقانا الله شر الرؤوس العنيدة ،
شر الفلاسفة ، والشعراء ، والخطباء ، والمجانين والعلماء .
الاعيان : وقانا الله شر المشاغبين الدائمين .
(ينسحب الاعيان ، تتجمع الجوقة حول الفيلسوف الذي
يتابع التدخين في صمت .)

رئيس الجوقة : انظروا هذا الرجل
الشیطان يسكنه
انه يعرف علامات المستقبل
ولا يفعل شيئاً
لا يعرف غير ان يدخن
قنّب الموت البطيء
كالهندي .

(يمر وقت . تعود الجوقة الى تحريك مكانسها ، مقتربة
بقصد .)

سحابة الدخان (يكاد يختنق) : توقفوا ! توقفوا ! اما شبعتم من تحريك
الرمل ؟

رئيس الجوقة : انها اوامر السلطان
نحن محكومون بعواصف الرمل
للسلطان الذهب والتمجيد

لنا الفبار والذباب .

الجوقة : يجب ان نشتغل لنعيش

الله قال ذلك

السلطان قال ذلك

المفتي قال ذلك

يجب ان نشتغل لعيش .

سحابة الدخان : نعم ، نعم ، افهمكم .

تتحركون الرمل وأحك رأسي

أين يذهب عملكم ، ماذا يصير تفكيري ؟

كل شيء يضيع ، كل شيء ضاع .

الا الله .

الا للسلطان .

الا للمفتي .

الجوقة (ساخطة ، وطاردة سحابة الدخان) : يا للتجديف ، يا لشر

تجديف في التجديف !

(خلال هربه ينقذ سحابة الدخان غليونه ، لكنه يترك

ابريقا على الارض .)

رئيس الجوقة (رافعا الابريق) : والله ، هذا فيلسوف حقيقي

وعقل سليم وكامل :

انه دائما مع غليونه

لكنه أيضا لا ينسى ابريق النبيذ المنعش ...

سحابة الدخان (من وراء الكواليس) : ايه ايها العرب ، لماذا نخترع الخمر

ونموت عطاشا ؟

(يمر وقت . الجوقة تشرب خلصة ، ثم ترقص ، وعلائم

السكر بادية عليها ، حول الابريق ، وهي تصيح أعلى

فأعلى :

يا للتجديف ، يا للتجديف ، يا لشر تجديف في التجديف !

تنسحب الجوقة . يعود سحابة الدخان الى المسرح . يرى

في عز الحركة : يسرق بصلا ويخفيه تحت قبعة جلبابه .)

سحابة الدخان : ايها البؤس ، ايها البؤس الأسود

يا بؤس الفلسفة !

ما من عدالة هناك .

أو أن العدالة كثيرة
اذها انا اسرق البصل
في حديقة المفتي .

(يدخل المفتي . يؤخذ سحابة الدخان بالجرم المشهود
فيبقى عالقا ببصلة ، ينتظر الوحي .)

سحابة الدخان : أي ، هوذا صاحب الملك . جاء في الوقت المناسب .
المفتي (مازحاً) : ماذا تعمل ايها الفيلسوف ؟
سحابة الدخان : هبة ربح .. هبة عنيفة . قذفتني الى حديقتك رغمًا
عني ...
المفتي : والبصلات المقلوعة ؟

سحابة الدخان : حين اقول هبة ربح اكون متواضعا . كانت اعصارا
هائلا ، اعصاراً لوليباً ، زوبعة .
المفتي (وقد ظن انه تمكن ، اخيراً ، من تطويق خصمه) : وهذه البصلات
في قبعتك ؟

سحابة الدخان : انا نفسي كنت اتساءل حين وصلت ، بأي معجزة وجدت
هنا ...

(المفتي يفادر المسرح . سحابة الدخان يلدع المسرح جيئة
ودهايا وهو غارق في الصمت .)

سحابة الدخان : هوذا الشعب يطوف ، ساخرا وفصوليا ، فضلا عن
جواسيس المفتي ... لكن ليس بيننا شيء نقوله . انني
منهك . (يسرع في الصلوات .) يا الهي ، سامحني ان كنت
اضرع اليك في الشارع ، لكنني لم اجدك في الجامع .
(تاجر ثري ينحني على شرفته . سحابة الدخان يواصل
ال صلاة دون حراك . الجوقة تراقبه عن بعد .)

سحابة الدخان : يا الهي ، ثلاثاً !

يا الهي ، ، ثلاثاً !

يا الهي ، ، ثلاثاً !

التاجر : من هذا الزنديق ؟ كان عليّ ان احذر . انه ايضا هذا الفيلسوف
الزعوم ، هذا المسكون ، هذا الشقي .
سحابة الدخان : يا الهي ، ثلاثاً !

اصغ الي

يا الهي

ثلاثاً !

أسمعني ؟
تلمني مئة قطعة ذهب .
تريد أن تعرف ماذا سأفعل بها ؟
لا يعنيك .
ابعث اليّ بمئة قطعة ذهب
ولا تهتم بالباقي .

التاجر : من رأى في حياته مثل هذه الوقاحة ؟
من سمع استهزاء بالله بمثل تلك العبارات !
وتحت نافذتي ، أنا ، باني الجامع !

سحابة الدخان : يا الهي ، ثلاثاً !
ابعث اليّ بمئة قطعة ذهب ، الامر مستعجل .
مئة قطعة ذهب :
اوسع بها دائرة اصدقائي
واجتاز دائرة دائني .
مجرد مئة قطعة ذهب تافهة
بأنسبة اليك هي أقل من لا شيء .
أرسلها الي
أريد مئة ، بالضبط
لا أكثر ولا أقل .

التاجر (مبتسماً) : مرة أخرى سأضطره الى الصمت . سأقبض عليه
وهو في جرم الزندقة المشهود .
(الجوقة :)
هيه : أيتها الصديقة !

الجوقة : أنا هنا .
التاجر : لا تتعدي . سترين بعينيك ...
الجوقة : أنا هنا .
التاجر : عندي فكرة ، فكرة عظيمة ترفع لي كوفيتي .

(يفتش في كوفيته ويسحب منها صرة يفتحها بسرعة .)
أجل ، نحن معشر التجار المسلمين ، نحمل دائماً ثروة في
رأسنا ، وافكارنا توزن بالذهب . يا للفيلسوف المسكين !
أريد أن أراك تعبد الاله الذي تجدف عليه ، وأريد أن أضحك
المدينة على حسابك .

(عند هذا يسقط التاجر ٩٩ قطعة ذهبية ، الواحدة بعد

الآخري ، امام قدمي سحابة الدخان الذي يعدها بوقار .
وكلما اسقط قطعة ، حيا التاجر الجوقة تحية محمومة
وكانه يشهدا .)
سحابة الدخان (عاداً) : تسع وتسعون ...

تنقص واحدة . حقا كنت أعرف
ان لا شيء كامل . .
حتى ولا أفعال الله .
لكنني لم أكن احسبه بهذا البخل .
تذكر ، يا رب ، انك مدين لي بقطعة .
عندي شهود عليك .

التاجر (وقد أخرجه الغضب عن طوره) : آه اللص ، الزنديق !
كنت واثقاً أنه سيتراجع عن كلامه .
(للجوقة .)

لقد رأيتم وسمعتهم !
الجوقة : ما رأينا ولا سمعنا .
لا شأن لنا بذلك .
التاجر (نازلاً الى الشارع) : ايها الأشقياء !
ماذا ! ألم تسمعوه ؟

كان يطلب من الله مئة قطعة ذهبية ،
لا أكثر ، ولا أقل
الم تروني من نافذتي أرميها اليه ،
التسع والتسعين قطعة التي قبضها الان ؟
الجوقة : لا رأينا ولا سمعنا
لسنا مكلفين احقاق الحق .
التاجر : أجل ، انتم الرعاع
الجهلة المقمطون
لم تؤمنوا بالعدالة يوماً .
لكنني أوّمن بها .
فلولا العدالة كيف كان لي
أن أحمي ثروتي
من اللصوص أمثالكم ؟

الجوقة (متحدية) : لا شيء يمنعك من الذهاب الى القاضي .
التاجر : انتم قلتم ، لنذهب الى القاضي .
لنذهب ، لنذهب !
(يهز سحابة الدخان)

سحابة الدخان : لا يمكنني الذهاب عند القاضي بهذه الثياب الرثة .
أما أنت ، فان قفطانك المطرز يملأك ثقة بالنفس .
وأما أنا ، فان ثوبي العتيق الوسخ
سيكون وبالا علي .
(الجوقة :)

ما قولكم ؟

رئيس الجوقة : معه حق .
الجوقة : العدالة ليست عادلة الا للذين بينهم مساواة .
رئيس الجوقة : بالمظهر على الأقل ...
التاجر : طبعاً ، انتم معه .
لكنني سأنتصر عليكم مجتمعين .
أنت ، أيها العبد !

(يدخل خادم .)
هات لي قفطاناً شبيهاً بالذي ارتدي .
(لسحابة الدخان :)

والآن

أتأتي معي الى قصر العدل ؟
سحابة الدخان : نعم ، لكن ألن تمتطي
مهرتك البيضاء المتبسة بالذهب ؟
وأنا ، سيكون علي أن امشي على قدمي
في لهيب هذه الشمس المحرقة .
الظلم ، من البداية ، فاضح .

التاجر : وحق الشيطان
ساسابك جميع أذارك .
أنت ، أيها العبد !
احضر أيضاً مهرة بيضاء .
والآن ، أتأتي معي الى القاضي ؟

سحابة الدخان (مرتدياً القفطان) : كلا ، ليس الى القاضي .
فهو على كل حال ليس سوى رئيس العدل .
أريد أن اذهب الى السلطان
الى المؤتمن على السلطة المطلقة .

التاجر : طيب طيب ، لنذهب الى السلطان .
لن يكون الحكم عليك اقل قسوة .
الجوقة (بتقطيع) : الى السلطان ! الى السلطان !

(يدخل السلطان الى المسرح . صمت)

السلطان : الوقت يزحمنا .

لنوجز .

فليشك الشاكي .

وليتهنهم المتهم نفسه .

ولننته .

التاجر : مولاي السلطان ، السلام عليك .

انك تعرف خادمك الأمين جيداً .

تعرف أنني تاجر مستقيم

لم يوفر ماله قط

من أجل خير المملكة

وعزة المسلمين .

السلطان : صحيح . نعرفك .

افض الينا بشكواك ، ولا عليك .

سحابة الدخان : وأنا ، أيها السلطان ، لا بد أنك تعرفني .

السلطان : للشاكي أن يتكلم .

الوقت يزحمنا .

إذا كان في نيتكما القاء خطب

وكلا محامين .

التاجر : لا سمح الله !

كفاني ما خسرت من مال .

بكلمة

أعلم مولاي السلطان

ان هذا الرجل سلبني

مئة ذهبية

أمام شهود تبين لي انهم شركاؤه .

الجوقة (متممة) لا رأينا ولا سمعنا .

سحابة الدخان : تسع وتسعون !

السلطان : ماذا تقول ؟

سحابة الدخان : تسع وتسعون .

لا مئة ، وإنما تسع وتسعون .

السلطان : ماذا تقول ؟

والله ، لا أسمع شيئاً !

سحابة الدخان : حسناً ، لنطو ذلك . خصمي يزعم

أنني سرفت منه مئة ذهبية .
فانقّف هنا ، أنها عقدة القضية .

التاجر : نعم ، لنقف هنا .
السلطان : لقد تكلم الشاكي .
فليجب المتهم صراحة ودون لف ودوران
سحابة الدخان : أيها السلطان ، كلامك من ذهب .

ستكون مرافقتي مختصرة :
خصمي مجنون ، لا أكثر ولا أقل .
التاجر (مستاء) : كيف ، أتجرؤ !
سحابة الدخان : نعم أيها المسكين

همومك المالية أفقدتك صوابك
الست تزعم أنني سرفت منك مئة ذهبية ؟
التاجر : تماماً !
مولاي السلطان مر بتفتيشه .
سترى أن المال ما يزال معه .

سحابة الدخان : لا فائدة من تفتيشي .

صحيح ، أنني أحمل المبلغ المذكور ،
ناقصاً قطعة واحدة ... لكن قل لي أيها التاجر ،
هل تحسب أن العالم كله ملك لك ؟
إذا كان هذا رأيك فاني أراك ستزعم أيضاً
أن قفطاني هو لك ...

التاجر : أكيد ، أنه لي .
سحابة الدخان : والمهرة التي تنتظرني أمام الباب ...
التاجر : إنها لي .

ولمن يمكن أن تكون ؟
ألم أعرك أياها قبل لحظة ؟
ألم أعرك القفطان ؟
ألم تقل أنك تريد أن تبدو لائقاً أمام السلطان ؟
(للجوقة :)

وانتم ، أيها الأوغاد ، كنتم حاضرين .
رايتهم كل شيء ، قولوا كلمتكم !

الجوقة : ما رأينا ولا سمعنا .
لا شأن لنا بذلك .
سحابة الدخان : لنتكلم جدياً أيها السلطان .

أتراك تعطي قفطانك
أتراك تعطي مهرتك رجلاً
سرق منك مئة ذهبية ؟

السلطان (متضيقاً) : هم !
سحابة الدخان : اعترف ، أيها السلطان ،

بان جنون الشاكي يبدو لك واضحاً .
مجنون آخر في مدينتنا ...

(التاجر ذاهل في صمته . السلطان حائر . ضحكات
مكتومة في الجوقة . فجأة ، يقترب التاجر من سحابة
الدخان ويصفعه .)

السلطان : هيا ، هيا ، هدوءاً !

الجوقة : أيها السلطان ، أنت شاهد على هذا الاعتداء .

السلطان : هدوءاً ، لم يحصل شيء .

أيها التاجر ، أخطأت بهذا التصرف .

لقد وضعفني في موقف حرج .

كنت مستعداً كل الاستعداد لتصديقك

وها أنت تحول المتهم إلى متهم !

لكننا نسامحك ، فاستياؤك يبدو لنا مشروعاً .

هيا ، انسحب ، اخرج وتنشق الهواء

سنستأنف البحث

حين تعود إليك رباطة جأشك .

اذهب ، يا صديقي ، لا تخف شيئاً .

لسناً مفقلين .

الجوقة (متممة) : كان ذلك منتظراً .

السلطان يحمي التاجر .

هذا منطقي .

السلطان : سكوت . عندي شغل .

(التاجر ينسحب . السلطان ينام فوق أحد الملفات . يمر

وقت . يقترب سحابة الدخان من السلطان خلسة .)

سحابة الدخان : مولاي السلطان ، الوقت يزحمننا ،

وأنت مرهق بالعمل .

سأساعدك على أن تكون عادلاً .

(يصفع السلطان صفقة هائلة .)

حين يرجع خصمي

أعد إليه صففته ، بكل عدل .

(يسمع صفير قطار . يأخذ سحابة الدخان ، يتبعه علي ،
محلا في شقة من القطار ، وأمامهما يجلس الثلاثي : وجه
الحبس ، الخابط الليلي ، والطقس الرديء ، وجه الحبس
مشغول بدوزنة عوده .)

وجه الحبس : قادمان من المغرب ؟
سحابة الدخان : المغرب ؟ لا أعرفه .
وجه الحبس : تقصدان جهة معينة ؟
سحابة الدخان : كلا ، البلاد تفادرننا .
وجه الحبس : تقصدان جهة معينة
سحابة الدخان : العالم عند الله وحده .
وجه الحبس : هذا القرد العجوز لا يبدو انه يحب حديثي .
متأسف .

(يبدأ في العزف)

سحابة الدخان : كفى ، انك تزهقنا .
وجه الحبس : أليس لي الحق ان أتسلى ؟
سحابة الدخان : ما هكذا .
وجه الحبس : لعل المعلم يظن انه يعطينا دروساً ؟

إذا ، اني أصغي .

(يقدم وجه الحبس عوده الى سحابة الدخان فيأخذه
ويبدأ ، دون أي تردد ، ينقر تنقيراً أبليه ، على وتر
وأحسده .)

وجه الحبس : اهذه هي أغنيتك الوحيدة ؟
سحابة الدخان : انها تساوي أغنيتك .
وجه الحبس : أنا ، على الأقل ، أعزف على الاوتار الثمانية .
سحابة الدخان : هذا دليل انك مبتديء . لست بحاجة للتنظيم على
ثمانية أوتار . وتر واحد يكفيني .
(يمر وقت . يلقي وجه الحبس نظرة من الباب .)

وجه الحبس : هذه هي . اننا في الجزائر .
علي (بحماسة) : هذه بلادي !
وجه الحبس (لعلي) : أنت ، تعجبني .
سحابة الدخان : مهلا مهلا ! الولد لا يعرفك . واننا لست من الذين
يسحرهم الموسيقيون .
وجه الحبس : نحن شبابان وانت عجوز . دعنا نلعب ، دعنا نقطع الوقت .
(لعلي :)

ماذا تملك ، غير أسمالك ؟

علي : لا شيء .

وجه الحبس : لا شيء مطلقاً ؟

علي (صاحباً سكينته قديمة) : انها كل ميراثي .

وجه الحبس (فاحصاً السكينة) : ان ذلك يذكرني شيئاً . حسناً ،

اسمع . هذه السكينة ساخيتها . أغمض عينيك .

(يضع وجه الحبس يده على وجه علي ، وباليدي الأخرى

يدس السكينة في جيبه .)

وجه الحبس : اسمع الآن . ساعزف ، وكلما اشتد عزفي كان معناه

انك تقتربت من مكان السكين . وعندما تخفت موسيقي

فمعناه انك ابتعدت كثيراً عن المكان الصحيح . مفهوم ؟

وانت ، ايها العجوز ، اقل فمك ، والا ذبحتك .

(يبدأ وجه الحبس العزف . علي يحوس خلال الشقة .

سحابة الدخان يعود الى اشعال غليون الطويل ، وينفخ

بأصرا ناحية وجه الحبس ليدل علي أن السكينة ليست الا في

جيب العازف . يفهم الإشارة ، وينتصب أمام العود ،

مضطراً وجه الحبس الى العزف بأكثر وأكثر قوة ، وحتى

الانهاك .)

وجه الحبس : لقد ربحت .

(يعيد اليه السكينة . خلال المرحلة الأخيرة من هذه اللعبة

الموسيقية ، يدخل قائد بجلباب احمر ، هو طهار ، يضع في

الشقة حقيبة ضخمة . وتجذبه الموسيقى ، فيستسلم

للأغراء ، ويريد هو ايضاً أن يلعب .)

طهار : انتم على الأقل تعرفون أن تضحكوا . دائماً أحببت الفنانين .

وجه الحبس : (محيياً) : اجلس ، ايها القائد ، ايها الموظف المحترم !

انت ايضاً تعرف ان تعيش . دائماً أقدر الشخص الفذ ،

خاصة اذا كان بالجلباب الاحمر ، واذا تنازل ونسي واجبات

وظيفته ، واذا رضي باللعب مع مساكين لا مأوى لهم ولا أهل !

طهار : أكيد اللعب .

سحابة الدخان (ناظراً خلسة الى الحقيبة) : مولاي القائد ، ايها اللاعب

الممتاز ، سنؤدي واجب التشريف نحولك بأن نحقق معجزة

اخفاء هذه الحقيبة العملاقة . عندئذ ترى مهارتنا .

طهار : ها ، ها ، ما اشطروهم ! اخفاء حقيبة بهذا الحجم ! ها ، ها !

سأغمض عيني .

(بنظرة واحدة تم التفاهم بين وجه الحبس وسحابة الدخان .)

سحابة الدخان : (مرجحا حمل الحقيقة) : بحق الشيطان ، انها ورطة

كبيرة .

(لعلي :)

اتبعني .

طهار (ضاحكا ، مغمض العينين) : ها ها ها !

احب ان اعرف اين سيضعونها !

وجه الحبس (عازفا) : بإمكانك أن تفتح عينيك .

(يدخل علي الى المسرح ويرسل اشارة الى طهار ، جاذبا اياه الى زاوية من زوايا المسرح ، بينما يعزف الموسيقى بقوة متضاعفة . في هذه الاثناء ، وفي الطرف الآخر من المسرح ، يرى سحابة الدخان يتوارى ومعه الحقيقة . تصفير . يرى وجه الحبس يتوارى بدوره ، يتبعه الطقس الرديء والخابط الليالي ، بينما يأخذ طهار ، في ضياعه ، يولول من الفيظ ويتأوه .)

طهار : الوداع يا جلابي الاحمر

الوداع يا لقب القائد !

هذه الحقيقة كانت تضم

اكثر من تقرير سري

موجه الى المديرية ،

واكثر من محضر ضبط

واكثر من ورقة ضريبة .

احترقت ، من الجهتين .

المدير سيصرفني من الخدمة

والحقيقة ستختصر الطريق

الى جماعة ثورية .

من الجهتين احترقت .

(الجوقة تذرع ارض المسرح . يدخل علي وفي يده الحقيقة .)

علي : لقد تقاسمنا .

لكن الآخرين خانهم الحظ .

كانوا يريدون بيع الثياب .

وصدف ان رجال القائد كانوا في السوق .

اضطرت ان اهرب بالحقيقة

وآلة الموسيقى .

لكن رحلتي الى المغرب

لم تكن خاسرة بالنتيجة .

انني الآن كبير !
(تدخل نجمة . يتعانقان . يتملص علي من العناق .)
علي : سأذهب في جولة .
(يخرج)
نجمة (وقد حجبتها الحقيبة) : أسأت تقديره .

رجلي الصغير !
ها هو يعود بحقيبة عملاقة ،
حقيبة دبلوماسية حقاً .
كم أود لو اعرف
ما في داخل هذا البناء الضخم .
(تفتح الحقيبة ، لكنها لا تجد سوى عود وجه الحبس المهشم .)
نجمة : لعنة الله !
ينهب الى المغرب
لمتابعة دروسه
وبعد ثلاث سنوات يعود
وفي حقيبته عود !

(نقلها عن الفرنسية أنسي الحاج)

د. فواز طوقان

حوار مع نزار القبناني



حدد الشاعر العربي نزار قباني في حوار أجراه الدكتور فواز أحمد طوقان ونشرته
الرابطة الثقافية في عمان مواقفه من قضايا الشعر العربي المعاصر . وقد اختارت « الجديد »
أن تقدم لقارئها بعض هذه المواقف التي طرحها الشاعر رغبة منها في أغناء النقاش الدائر
حول مسيرة الشعر العربي المعاصر وآفاقه .
ومن غير الضروري ، ونحن نزود قراء « الجديد » بآراء شاعر ذاع صيته ، أن نتوقف
عند نقاط نلتقي عندها معه أو أن نناقش منطلقات لا نرى صحتها .. فالحكم الموضوعي لا
يستقيم بدون حرية الحسم التي هي من حق القراء وصلاحياتهم .
فمن حق المطلعين أن يقرروا إذا كان الشاعر قباني أصاب حين قرر أن العرب لا
يملكون من الموسيقى إلا الرماية !! كما أن من حقهم أن يتذوقوا القصائد « الدائرية » أو
« المائية » أو لا يتذوقوها .
كذلك من حقهم أن يصادقوا على رأي نزار قباني « أن عصر الملاحم الشعرية ولى » ،
أو أن يختلفوا معه كما قد يختلف معه الكثيرون .
ولكن كل هذا لا يعنى « الجديد » ، التي لم تحاور الشاعر ولا تريد أن تحاور مواقفه

— كما نشرتها « الرابطة الثقافية » ، من أن تتوقف عند قضية على غاية من الاهمية — عند قضية اللغة العربية ، فتبدى رأيا فيها ونترك للقراء ان يستخلصوا النتائج .

ان اصرارنا على ابداء الراى يعود الى اعتقادنا ان القضية جوهرية لا يصح اهمالها .
وهنا نود أن نعترض من ناحية ونوافق بتحفظ من ناحية ثانية .

واعترضنا على التمييز — التعسفى فى رأينا — بين اللغة العربية واللغات الاوروبية والزعم بوجود « حفرة » فى اللغة العربية بين اللهجة « الدارجة » (أى لغة التعامل اليومي) واللغة الصحيحة . وقد اخترنا اصطلاح « اللغة الصحيحة » لا « اللغة الثالثة » التى يروج لها الشاعر نزار قباني لان الواقع يثبت ان اللغة العربية فى طورها ، احتفظت ، بجوهرها وبقوانينها الا انها تبلورت بناتج المسيرة الحضارية فاشتقت مفردات واساليب لا هى كلاسية متحجرة ولا هى « دارجة » دخلت عليها ألوان انحطاطية .

وهذه اللغة العربية الصحيحة هى التى تتجمع تحت مظلتها اللغة التى تتداولها الصف

.. ويتعامل بها الادب العربى الحديث ..

وهذه اللغة العربية الصحيحة هى التى تنتشر فى العالم العربى من اقصى الى اقصىه وتؤلف عاملا جوهريا من عوامل الوحدة العربية .

والحقيقة ان اللغات الاوروبية المعاصرة لا تختلف عن اللغة العربية فى هذا الامر .. فاللغة الانجليزية المعاصرة — لناخذ بريطانيا على سبيل المثال ، ليست لغة « شوسر » أو شكسبير ، بل لغة عصرية امتزجت فيها لغة شوسر وشكسبير باللهجة المتداولة ..

والخطيب الانكليزى اذا تحدث فى البرلمان يجد نفس الصعوبة التى يجدها الخطيب العربى حين يختار ان يتكلم باللغة العربية الصحيحة ..

ومن الممكن أن نجزم ان انتشار التعليم باللغة العربية الصحيحة — وهذا ما يتسم بونائر مختلفة فى الاقطار العربية — سينهى مع الزمن هذا التفاوت فى الحياة اليومية ولكنه لن ينهى التفاوت بين لغة الصحافة الصحيحة والادب .. فالادب ، فى سعيه وراء الجمالية والتالى للفظى والفكرى ، سيحاول دائما التفوق الفنى .

اما موافقتنا المتحفظة فعلى تأكيد الشاعر نزار قباني على ان الفكر الطبقي لا يمكن أن يطبق على اللغة .. وتحفظنا هامشى .. وهو على قوله انه يستعمل الكلمات بدون « تفرقة عنصرية » أو طبقية .

الحقيقة ان اللغة هى ظاهرة اجتماعية تتجاوز الطبقات ، على اعتبار انها وسيلة التعبير والتفاهم الاجتماعى .

ولهذا فانتمثال المجتمعات من نظام سياسى اجتماعى معين الى نظام سياسى — اجتماعى آخر رافقه تغير جذرى فى البناء الاقتصادى والسياسى والفكرى ولم يرافقه تغير فى اللغة ..

فالثورة الفرنسية الكبرى فى عام ١٧٨٩ نقلت فرنسا من الاقطاعية الى الرأسمالية ولكنها لم تلغ اللغة الفرنسية .. ومثلها الثورة الاشتراكية الكبرى فى روسيا القيصرية التى حافظت على التراث الثقافى الانسانى فى اللغة الروسية .

ومع هذا فالثورة الاجتماعية تؤثر فى اللغة فى ميدانين :

أولا : 'هى تمنح بعض المصطلحات والمفردات معانى جديدة أو تشحنها بمعان اقرب الى

طبيعتها الاصلية مثل « الديمقراطية » و « العدل » و « المساواة » ..

وثانيا : هي تختار تلك المصطلحات والمفردات التي تعرب عن حياتها وترفع المفردات التي اعتبرتها الانظمة الطبقية مفردات مبتذلة الى مكان الصدارة .

وبعد ، وما دمننا قد اوردنا هذه الملاحظات فعلينا ان نعترف ان الشاعر قباني اسهم في تحطيم اصنام التحجر اللغوى اولا .. وبعض المفاهيم الاجتماعية ثانيا .. ولعل اهم ما قام به في الميدان الثانى دعونه الى اعادة المراه الى مستواها الاجتماعى .. الانسانى .. فتحرير المرأة العربية تماما لا يزال احدى مهمات الثورة العربية من اجل التحرر القومى والاجتماعى .

الرابطة الثقافية : ما الذى حدث فاستطعت ان تخرج عن نطاق الشعر العامودى .. ما هى العبوات الناسفة التى كانت في دخيلتك ، وفجرت اطواق الكلاسيكية ومكنتك من العبور الى « المعاصرة » ؟

نزار قباني : في الحقيقة ، لم اقتنع اذ ذاك بان الشعر العربى التقليدى هو المثل الحقيقى للشخصية العربية . قرأت ذلك الشعر في حياته سنى ما بين الثانية عشرة والسادسة عشرة . وشعرت في غربة ، اى ان الشعر العربى ذاك لا يعبر عنى . يعنى / الفرزدق وابو تمام ، وابو فراس ، وزهير بن ابى سلمى ، والنايف ، هؤلاء ينتمون الى عصور لا اُنتمى اليها . ليس هؤلاء فقط بل كنا نقرأ الشعر العربى حتى عصر النهضة . رايت ان شعر عصر النهضة لا يختلف من حيث النوعية ولا من حيث الشكل عما قرانا من الشعر الجاهلى والاموى والعباسى . اهم ما لفت نظرى ، ان القصيدة العربية كانت خاضعة للنموذج العام . هذا النموذج العام للقصيدة ، ما كانت قادرة على الخروج منه . كان احساسى بان كل الشعراء يكتبون في صيغة واحدة ، وفق نموذج تاريخى عام لا يستطيعون تجاوزه ، اضرب لك مثلا : رغم ان شوقى عاش في القاهرة ، في مطلع هذا القرن ، الا ان قصائده كانت منقولة ، تقريبا بحذافيرها ، على ورق كربون ، عن شعراء امويين وعباسيين ... قصيدته في رثاء امه تشابه قصيدة المتنبى في رثاء جدته من حيث الروى ، عندهما ذهب الى اسبانيا ، كتب قصيدته على النموذج البحترى ، خمرياته تشابه الى حد بعيد خمرييات ابى نواس . السؤال ، اين هو شوقى ... شوقى الموجود في القرن العشرين ؟ ابدا ، لا تسراه .

كنت اتضايق من هذا ... واشعر انه ليس لاحد الحق بان يلبسنى قميصا غير القميص الذى اريد لبسه . الصياغات : كان عندنا جمل جاهزة للاستعمال بدون ان يسمح لنا بالخروج عنها . فبمقابل النموذج العام الذى رفضته ، اردت ان يكون هناك نموذج خاص بى ، انا خلقتة .

موسيقى الشعر العربى موسيقى جميلة ولا شك . بحور الخليل بن احمد

بحور هامة جدا ، ومنوعة جدا . لكن كان السؤال الذى اطرحه فى شبابه الاول ، هل الموسيقى الشعرية ارث ابدى ام هى من صنعة الانسان ؟ هل هذه الموسيقى تسيطر على الانسان ام أن الانسان يسيطر على هذه الموسيقى ؟ لكننى عدت بعد مدة واكتشفت أن كل عصر له موسيقاه الشعرية . وإذا جاز لنا أن نعتقد مقارنة بسيطة ، فنحن العرب لا نملك من الموسيقى الا الربابة . فحين نصل اليوم الى أن نستعمل الاكورديون ، والابوا ، والبيانو ، وكل وسائل السيفونية المعاصرة ، ونطرب لها ، لماذا هذا لا ينسحب على الموسيقى الشعرية ... ؟

البحر الطويل ، ليس لى اعتراض عليه ، والبحر المديد ، ليس لى اعتراض عليه اطلاقا . لكن هل البحر الطويل ، مثلا هو الباب المختوم بالشمع الاحمر الذى لا أستطيع تجاوزه ؟ فأننا ، فى الحقيقة ، بدأت اللعب على البحور ، أو اللعب على التفعيلة . ثم لم أتقيد بأنه يجب أن يكون هنالك صدر مؤلف من ثلاث تفعيلات أو أربع يقابله عجز مماثل له فى عدد التفعيلات ، وانما سرحت حسب حريتى . نموذج بسيط : فى قصيدتى « رسالة من سيدة حاقدة » تبدأ :

« لا تدخلى » « مستفعلن »

وسددت فى وجهى الطريق بهرفك

(هل رايت ما اطول هذه الجملة الشعرية بمقابل المطلع ؟)

وزعمت لى « مستفعلن »

أن الرفاق اتوا اليك ... « مستفعلن متفاعلن »

أهم الرفاق اتوا اليك ؟

أم أن سيدة لديك

تحتل بعدي ساعديك ؟

وصرخت محتدما : قفى

والريح تمضغ معطفى ...

الى آخره ... اعتقد أن هذا فيه موسيقى أكثر من الموسيقى المفروضة علينا فى علم العروض ، لسبب وجيه التناظر SYMMETRY ما عاد صفة أساسية مطاوعة فى عصرنا . لم يعد شرطان يكون هنالك توازن دائم فى الجملة الموسيقية ، أى صدر وعجز لكل بيت من الشعر . بالعكس ، عدم التوازن يحدث للانسان نوعا من الانكسار الداخلى ، أو الانقطاع الذى يبعده عن الملل .

هذا عن الموسيقى ؛ أما اللغة ، فنعرف أننا كلنا نتمزق بين لغتين لغة نتكلمها فى المدرسة والجامعة ونكتب بها فروضنا المدرسية ، ولغة نلعب بها مع رفاقنا ونتحدث بها فى المقاهى ، ونعيش بها فى البيت ونخاطب بها أمهاتنا وأبائنا وإخواننا . هذا الوادى ، أو الحفرة الكبيرة ، بين اللغتين . اعتقد أنها أثرت تأثيرا كبيرا على عملية الإبداع فى الادب العربى . ذلك لأنه لو كنا نتكلم لغة واحدة ، مثل فرنسا أو إنجلترا ، اعتقد أن عملية الإبداع كانت جرت بطريقة أسهل . لكن

مع الاسف الان ، نحن نترجم في اغلب الاحيان تفكيرنا بالعامية الى العربية الفصحى . لذلك ، ليس عندنا خطباء ، يتقنون على المنبر ويتحدثون ثلاث ساعات مثلا . . لان اللغة التي تلقى من فوق المنبر ليست هي اللغة التي يتكلمها الخطيب عادة ، هو يقف فيصطنع لغة ، او يترجم اللغة . بينما أى شخص انجليزى او فرنسى او اسباني ، ينهض في اجتماع عام ، وبدون ان يكون قد حضر كلمة مسبقا ، فيتحدث بسهولة . لان هؤلاء يمتلكون اللغة الموحدة التي يتكلمون بها ، ويعيشون بها ، ويعبرون بها عن احتياجات انفسهم . فأول ما فكرت بأن هذه اللغة الفصحى الاكاديمية لم تعد صالحة لى ، بعيدة ، هنالك غربة وبرود بينى وبينها . لذلك حاولت ان اكسر هذا الازهاق الذى فرضه القاموس العربى وان استعمل اللغة اليومية التي يستعملها الناس ، دون اسعاف . فى الحقيقة ، اللغة التي استعملتها فى شعري خلال الخمس والعشرين سنة السابقة هي « اللغة الثالثة » . . . فلا هي اللغة الاكاديمية فى كل جفافها ومحافظتها واسوارها الحجرية ، ولا هي اللغة العامية المنفلتة من كل الحدود والاصول . واعتقد ان هذه « اللغة الثالثة » هي لغة المستقبل الشعري . فلو اخذت كل القصائد العربية المعاصرة ترى انها تستعمل هذه « اللغة الثالثة » .

يبدو لى ان هذه الامور التي ذكرت ، اللغة ، الموسيقى الجديدة ، حربة الشاعر ، المعاصرة ، الاتجاه الى هومو الناس ، عدم الكذب والنفاق في التعبير . . امور اخرجتني عن نطاق القصيدة التقليدية ومكنتني من العبور الى العصر الحديث . واعتقد ان نفس هذه الامور شائعة عند اكرية الشعراء العرب اليوم ، وضمن هذه الحدود فان مستقبل الشعر العربى مستقبل جيد وسيقترب الشعر اكثر واكثر من الناس .

الرابعة الثقافية : نلاحظ انك ادخلت فى « قاموسك » الشعرى ألفاظا من العامية بشكل ملفت للنظر . . . ألفاظا من مثل الجريدة وفنجان القهوة والسيكارة او الفاظا دارجة فى نطقها العامى . . . فكيف تسنى لك ذلك ؟ ألم تخش ان ينسم شعرك من جراء ذلك بالاسفاف ؟

نزار قباني : كل شاعر له قاموسه الخاص . يقولون عن شكسبير ان كل ما استعمله فى مسرحياته لم يتجاوز الالف ومئتى مفردة . . . وهذا شكسبير الذى قرأته كل العصور وما زال باقيا فى ذهن البشرية الى الان . هنالك « حس الانتقاء » عند الشاعر . وكل شاعر يحكم ثقافته ودراسته وذوقه الشخصى ، له مجموعة من الكلمات يستعملها دائما ، مثل الانسان المعاصر ، له مجموعة من الالوان ينتقيها لبدلاته وقمصانه واثاث بيته . كذلك باللغة ، يحدث مثل هذا . كل فرد ، فى حديثه اليومى مع الآخرين ، له نقاط يقف عليها ويرتكز . نقاط الارتكاز هذه هي مجموعة الفاظ خاصة به انتقاها بحكم تركيبه الذهنى .

وعنى شخصيا ، هنالك مرحلتان . فى الماضى كنت اومن بلغة شعرية

منتقاة . كنت اتول ان بعض الكلمات مثل البترول والقيء والزهرى والسعال ...
أو آية الفاظ مرضية مثلا ، لا يجوز ان تستعمل اطلاقا ، لانها تهبط من مستوى
الشعر . لكن بعد صدور ديوانى الثالث ، « أنت لى » ، بدأت اشعر بعقم هذه
النظرية . وصرت لاارى بأسا من استعمال هذه الالفاظ . وصرت اومن بأن الفكر
الطبقي لا يمكن ان يطبق على اللغة ، أى هنالك لفظة برجوازية وأخـــــرى
بروليتارية ، لفظة ملوكية ولفظة شعبية ... وأبعد من ذلك ، صرت أجسس
بسخف مثل هذه النظرة ، وبدأت استعمل الكلمات بدون « تفرقة عنصرية » أو
طبقية ، واكتشفت ان الشاعر هو الذى يحول الكلمة الى شعر ، والكلمة بحد
ذاتها ليس لها طبقة ... الشاعر ، حسب براعته وموهبته ، يستطيع أن
يستعمل الكلمة ، مهما بلغت رداعتها أو عاميتها ، يضعها فى المكان المحدد فتصبح
شعرا . الكلمة فى يد الشاعر عجيبة طيبة ، وهو الذى يقدمها بالشكل الصحيح
الذى يجعلها شعرية أو غير شعرية .

لذلك ، فى قصيدتى « هوامش على دفتر النكسة » ، استعملت « جيلــــ
القيء والزهرى والسعال » ... ووضعتها متتاليات ، ونفس اللفظات الثلاث ،
كن مرفوضات بالنسبة لى قبل خمس عشرة سنة . والان اشعر ان اللغة عندى
حق كل ما فيه ان يكون فى خدمة الشعر ، وكل ما فيه يمكن ان يكون فى خدمة
القضية وهموم الناس المعاصرين ... حتى قصائدى السياسية « الاستجواب »
« الممثلون » « خبز وحثيش وقمر » « الخطاب » ... كلها ، يمكن ، فتحت
الافاق العربية ودخلت كثيرا من الاماكن بسبب البساطة أولا ، واستعمال هذه
الالفاظ اليومية التى يرددها الناس فى أحاديثهم السياسية ... اذا كنت تذكر فى
قصيدة « الممثلون » مثلا :

حرب حزيران انتهت ..
وضاع كل شىء ..
الشرف الرقيق ، والقلاع ، والحصون
والمال والبنون
لكننا .. باقون فى محطة الاذاعة :
« فاطمة تهدى الى والدها سلامها .. »
« وخالد يسأل عن اعمامه فى غزة ... »
« واين يقطنون .. »
« نفيسة قد وضعت مولودها .. »
« وسامر حاز على شهادة الكفاءة .. »
« فطمئونا عنكم ، .. عنواننا المخيم التسعون .. »

هذا هو نفس الكلام الذى تردده محطات الاذاعة العربية حين تنقل رسائل
المستمعين الى ذويهم العرب فى فلسطين المحتلة .. استطعت فى هذا الكلام أن

اكرس او اثبت لغة شعرية كان من المستحيل تثبيتها قبل ذلك ، وكان هذا يعتبر نوعا من السقوط او التدهور الشعري .

الرابعة الثقافية : اذن ، ما الفرق بين الانسان العادي الذى يقول هذا الكلام اليومى وبين الشاعر الذى يضع هذا الكلام اليومى فى الشعر ؟

نزار قباني : الشاعر هو الذى يعطى الكلمة ، الزخم الشعري . بينما كانت الكلمة رديئة ، يستطيع الشاعر بقدرته ان يشحنها بالزخم الشعري . يعنى / ما هو الشعر ... ؟ الشعر هو طريقة عرض . لماذا نرى شاعرا افضل من شاعر ، وشاعرا يصل اكثر من شاعر ؟ لان كل البضاعة متشابهة ، لكننا نحمل نفس الافكار اخيرا . لكن فى النهاية تبقى العملية الشعرية طريقة عرض اكثر منها اى شىء آخر .

الرابعة الثقافية : ما دمنا فى الحديث عن « القاموس الشعري » هنالك تساؤل وجيه . تكثر الالفاظ الدالة على الطبيعة فى شعرك ، مثل : اسماء الورود والاشجار والطيور ... والماء وما الى ذلك ، لكننا لا نرى لك قصائد مقصورة على وصف الطبيعة كفن شعري او موضوع خاص تتناوله فى شعرك . فما هو تعليقك لذلك ؟

نزار قباني : اهتمامى الاول هو الانسان والعلاقة الانسانية . الطبيعة بالنسبة لى لم تكن لولا الانسان ... كل هذه النجوم الطالعة . والسموات ، وكل هذه البحار ، كل هذه الاشجار ، والزهور والجداول والينابيع والرياح ، كلها لولا الانسان ما كان لها قيمة . الزهرة ، لولا انف الانسان الذى يشتمها وعينه التى تراها ... اكانت ولدت وماتت دون ان يابه بها احد . فانا اعتقد بان كل هذه الاشياء مصنوعة لخدمة الانسان ، النجوم التى فى السماء مصنوعة لتضىء لنا دروبنا او تحمى سر العشاق . كل هذه الاشياء الطبيعية استعملتها فى شعري ، كاضافيات فى خدمة العلاقة الانسانية . فمثلا عندما اقول لها:

يا شعرها على يدي

شلال ضوء اسود

المه سنابلا سنابلا

لم تحصد

او عنديما اقول :

تعود شعري الطويل عليك

تعودت ارضيه كل مساء

سنابل قمح على راحتيك

تعودت اتركه يا حبيبي

كنجمة صيف على كتفك
فكيف تمل صداقة شعري
وشعري ترعرع كالطفل بين يديك

فهنا استعمال ، سنابل القمح والنجوم ، كله في خدمة شعير الحبيبة ، وليس العكس . لذلك أنا في الواقع لا أومن بشعر الوصف ، لأنه فن فوتوغرافي . الواحد يقف أمام شجرة مزهرة ، فيقول لها مثلا : ما احلاك ، أنت بيضاء ومتفتحة كائك وعروقك ثريا من الذهب . هذا نفى للعلاقة الانسانية . أية كاميرا ملونة تستطيع ان تصنع شيئا في هذا المشهد أهم من شاعر يصف فوتوغرافيا . لا بد من ان يتدخل الانسان في شعر الطبيعة . . يستعمل البحر لاغراض السفن مثلا ، أي الرحيل الشعري . . . وبدون ذلك ، يكون هذا النوع من الشعر عملية نقل باهتة عن الطبيعة .

الرابطة الثقافية : هناك موضوع آخر يتكرر في شعرك ، كموضوع منفصل وكالفاظ أو مفردات تمت اليه بصلة . . . « المرأة » . هل المرأة في شعرك هي محور تدور حوله قصائدك الكثيرة ، أم انها مجرد موضوع شعري تنفذ منه الى غيره كما شرحت عن « الطبيعة » ؟

نزار قباني : « المرأة » في شعري وسيلة ، لتحقيق غاية أكبر . ليس في الحياة شيء يعتبر هدفانها الا القيم العالية .

وضعية المرأة في عالمنا العربي ، كما تعرف ، وضعية غير صحيحة تاريخيا . . . فيها ظلم اجتماعي كبير . . . فيها ارهاب اجتماعي كبير . . . وفيها ابتزاز اجتماعي كبير . ربما في بداياتي الشعرية ، حاصرت المرأة جماليا ، أي ، لم تكن المرأة عندي قضية . كانت عبارة عن قطعة ديكور ، أو آنية زينة أو ورد ، أضعها على طاولتي وأملأها ماء وأضع فيها زهرة الى أن تذبل فأغيرها وآتسى بسواها هذا الموقف أملاه علي في الماضي ان طبيعة الحياة الاجتماعية في المجتمع العربي ، طبيعة علاقتنا بالمرأة ، لم تكن تسمح لنا ان نتعامل معها الا بهذه الصيغة التجارية ، صيغة الشراء والبيع . . . بعد ان ذهبت في السلك الدبلوماسي الى العالم الخارجي ، شعرت ان هذه النظرية مغلوطة . يبدو لي ان من لم يعرف المرأة ، من الحتمى ان يكتب عنها بهذا الشكل السطحي الخارجي . لكن عندما بدأت اخوض علاقات تتميز بطابعها الانساني والفكري ، وعندما استطعت ان ادخل في حوارات مع المرأة دون ان تطغى عليها النزوات الجسدية ورائحة الجنس ، اكتشفت ان هنالك عالما آخر يجب ان يرصده الشعر ، وهو عالم المرأة من الداخل . ولذلك بدأت اتنبه الى ان المرأة ، ولا سيما في شرقنا العربي ، هي ضحية نتيجة لخطأ تاريخي لا بد للشعر من ان يصححه ومن هنا بدأت عملية القتال في سبيل اعادة المرأة الى معناها

الحقيقي . بدون شك ، قاتلت على أرض صعبة في سبيل هذه المرأة العربية التي كانت ضحية قرون وقرون ، ضحية لانياب الرجل ، وانياب الخرافة ، وانياب الاقطاع ، وانياب التملك ، كي اعيد اليها طمأنينتها ومستواها الانساني . لذلك ، وابتداءً بديواني « قصائد » ، الذي صدر وأنا في لندن حوالى عام ١٩٥٥ ، تلاحظ في شعري انه أصبح لى موقف تجاه المرأة ، وتكرس هذا الموقف في ديواني « يوميات امرأة لا مبالية » ، حيث تقمصت شخصية امرأة وكتبت بلسانها عن همومها ، وحاربت معها . ورغم ان المرأة في بلادنا قد قطعت شوطاً نحو التحرر ، لكننى أشعر حتى الان أن غمها ما زال مليئاً بالقطن ، وشفتيها لا تزالان مفلقتين بالشمع الاحمر ، ولا يزال عندها نوع من الرعب الداخلى . ولا أدري ما هو الزمن الذى ستستغرقه المرأة العربية لتصل الى المرحلة البشرية السوية للرجل العربى . واعتقد أيضاً ان الرجل العربى يجب ان يتحرر ويتطور . فالمرأة بمفردها لا تستطيع ان تتحرر اذا لم يكن الرجل قادراً على استيعاب حريتها وتحضرها فأولاً ، علينا ان نخرج الرجل من حظيرة الفكر الجاهلى ، وعليه تخرج المرأة اوتوماتيكياً من الصدفة التاريخية او من القنم المسحور الذى حبسها الرجل فيه عشرات وعشرات القرون .

الرابطة الثقافية : اذن ، المرأة في شعرك هي وسيلة تعبير عن فكرة اجتماعية مثالية كبرى ؟

نزار قباني : بكل تأكيد . هى وسيلة لاقامة مجتمع ليس فيه ظلم ، لا يتسلط فيه جنس على جنس آخر .

الرابطة الثقافية : هل يكون الجمهور ماثلاً أمامك وأنت تكتب الشعر .

نزار قباني : تكون قضايا الجمهور وهمومه ماثلة أمامى وأنا أكتب الشعر . أنا واحد من هؤلاء المئة والأربعين مليون عربى ، واحد منهم ملاحق كل يوم بنشرات الاخبار ، والهزات السياسية ، والهموم القومية ، والحرائق التى تشتعل فى كل الوطن العربى . . . فما أكتبه ، اذا كان خارجاً عن نطاق هذه الحالات وهذه الحرائق ، أكون أعمى او متبلد الشعور والاحاسيس الى درجة الموت . الشاعر هو صورة لوجه بلاده وضمير امته ، فاذا لم ينتبه الى هذه الناحية ، ولم يستعمل فنه كواسطة للوصول الى هذه الامة ، والى وجدانها ، وما اضاء الشموع فى هذه الظلمة التى تكتنفها من كل الجهات ، اعتقد انه حجر على قارعة الطريق . . .

الرابطة الثقافية : تحدثنا سوية عن لغتك الشعرية ، ونخرج بنتيجة أنك مجدد فى هذا المنحى . . . لك لغتك الشعرية الخاصة ، وهى « اللغة الثالثة » التى ذكرت لكن الشعر العربى المعاصر ، لم يخرج عن اللغة الشعرية

القديمة وحسب ، بل خرج على معمار القصيدة القديمة أيضا . وأنت تشير في إحدى كتاباتك إلى أنك بدأت تكتب القصيدة « الانسيابية » أو القصيدة « المائية » كمعمار شعري جديد . فهل لك أن توضح ما تعنيه ؟

نزار قباني : يقتضى هذا السؤال أن اتحدث عن « الشكل الشعري » ... أنا ، شخصيا ، مررت بجميع مراحل الشكل الشعري ، ابتداء بالقصيدة العمودية بشكلها التاريخي كما ورثناها ، وهذا في بداياتي ، إلى كتابي « ١٠٠ رسالة حب » الذي يتبنى ما يسمى الآن بـ « القصيدة النثر » . أنا لؤمن بأن الاشكال عملية تطورية ، أي ليس في الفن شكل نهائي ولا شكل مطلق . الاشكال يصنعها الانسان ويطورها يوما . « وأنا كنت كل ربع ساعة أمل من شكل كتبه قبل ربع ساعة » ... يدى كانت دائما بالصلصال الساخن ، وكأنتى جالس في مخير ، لأنه كان لدى قناعة بأن الشاعر الذي لا يغير جلده ، لا يستطيع أن تكون له ديمومة شعرية ...

سألتني عن قصائدي الأخيرة التي اسميها القصائد « الدائرية » أو « المائية » هذه القصائد أراحتني . شعرت أنني بهذه القصائد أستطيع أن أعبر عن نفسي بدون توقف ، أو انقطاع . القافية كما نعرفها في شعرنا العربي ، على جمالها ، هي عبارة عن إشارة مرور تقول لك « قف » عند الضوء الأحمر . وأمام هذه الإشارة ، الشاعر مضطر أن يتوقف وهو في ذروة حماسه .. يكون الشاعر سائرا بسرعة ، وفجأة تبرز أمامه هذه اللافتة ، التي نسميها القافية ، وتقول له : « قف ! » . القصيدة الدائرية هي محاولة لإلغاء كل إشارات المرور الحمراء ... وتقول للشاعر تفضل ... مر دون توقف . بهذه القصائد ، شعرت أن القصيدة بدأت تأخذ بنية إنسانية متكاملة حيث كل شيء فيها ملتحم ببعضه . قصيدتنا العربية القديمة ، كانت عبارة عن بناية كبيرة ، يمكن أن تتألف من خمسين أو ستين طبقة ، أو في بعض الأحيان تصل إلى مئة طبقة ، لكن بدون سلالم داخلية بين هذه الطبقات . أي كل بيت من الشعر يشكل طابقا منفصلا عن الآخرين . تصميم قصيدتنا العربية القديمة هندسيا ، كان تصميم قلاع العصور الوسطى . الآن ، إذا جاز التمثيل ، لم يعد أحد يبني قلعة ويسكن فيها ... اتجاهات الناس الآن مختلفة . هذه الأيام تصلنا من السويد بيوت جاهزة من الخشب والكرتون ، يركبها الناس خلال ربع ساعة ويسكنونها وبالمقابل ، القصيدة من نفس المنطلق ، يجب أن تراعى مقتضيات العصر وتنسجم مع أزياء العصر . القصيدة الآن يمكن أن تأخذ شكل فيلا أو شاليه على البحر .. ربما لا تكون بضخامة القلاع القديمة ، لكن الضخامة غير مطلوبة اليوم في الشعر . ليس المطلوب من الشعر اليوم أن تنظم الملاحم ... عصر الملاحم ولى . المطلوب اليوم من الشعر أن يلامس نفس الانسان وعينه بلهجات إنسانية خفيفة ويقنعك ، ويقدم لك الراحة النفسية . والان ، هذه وسيلة حضارية تتبعها القصيدة لكي تقنع الناس أنها موجودة في العصر .

الرابطة الثقافية : نستشف من هذا الذي سبق أن الشاعر نزار قباني دائم

البحث عن أشكال جديدة أوعية لقصائده ، وان آخر هذه الاوعية هي القصيدة
« المائتة » او « الدائرية » . « كتاب الحب » ، أحد دواوينك ، صدر عام
١٩٧٠ . . . وهو شكل شعري محير . هل هو قصيدة واحدة ذات مقاطع متتالية ،
ام هو رباعيات على الطرز الحديث . . . ؟

نزار قباني : « كتاب الحب » محاولة لقص جميع الزوائد الدودية في اللغة
العربية . القصيدة العربية العامودية تتألف من مئة بيت . . . يكون واحد فقط
منها . . . او خمسة أبيات فقط . . . تشكل الذروة الشعرية . . .
أما الباقي كله فيكون حشوا أي باقى المئة بيت تكون عبارة عن قطع غيار
مالها قيمة في حركة القصيدة . . . اذا جاز لنا تشبيه القصيدة بالسيارة . . . ترى
كل هذه الابيات الهامشية لا تقدم ولا تؤخر في حركة السيارة . . . او في حركة
القصيدة . . يمر الشاعر ، وهو يكتب القصيدة ، بثوان تشبه الكشف الصوفي . .
هذه الثواني التي تنكشف خلالها السماء أمامه . . او تنكشف اعماق نفسه . . .
يكتب فيها أحلى بيت في القصيدة . . . او أحلى بيتين او ثلاثة . بعد ذلك ، تعلق
الستارة ، او نوافذ السماء ، أمامه ، ويعود الى النشر . . . يبدأ الشاعر ينثر
الكلام . بيد ان الموسيقى ما زالت ترن فيه ، وبحكم الاستمرارية ، يبدأ الشاعر
يعبئ الفجوات التي في القصيدة . فاذا كان شاعر مناسبات ، يقول لنفسه :
« مطلوب منى ان انشد ، مثلا نصف ساعة » ! ويبدأ يركز القصيدة على أساس
الساعات السويسرية . . . ويضحى الشاعر خادما للزمن ، يعمل على سد رقعة
الزمن بمادة طولها نصف ساعة بمثل هذا التدبير الذي أسميه « كلاما فارغا »
تحدد أطوال القصائد العربية العامودية .

في « كتاب الحب » ، حاولت ان أنهى كل ذلك . فقد قررت ان اكتب بيتا
واحدا ، سميت قصيدة ، وهو الذي تكون فيه القصيدة في ذروتها الشعرية . .
أي هو ساعة الكشف . والغيت كل اللحظات النثرية التي تمر بالشاعر وتضطره
الى أن يرقع ويسد فجوات . مثلا ، عندما أقول في « كتاب الحب » :

ما دمت يا عصفورتى الخضراء

حبيبتى

أذن . . . فان الله في السماء

اعتقد أنه لا يمكن اضافة شيء اطلاقا . هذا كلام انتهى وأخذ موقعه من
التاريخ ومن نفس الحبيبة ولم يعد امكانية لاية اضافة . ومثال آخر :

أشكوك للسماء

أشكوك للسماء

كيف استطعت ، كيف ، ان تختصرى

جميع ما في الارض من نساء

كذلك ، هذا الكلام لا يحتمل أية اضافة .

الحقيقة ، اننى أول ما كتبت « كتاب الحب » ، خفت ان القيه . في أول

امسية شعرية ، جريت هذا الكلام في الناس ، اضطررت الى الشرح . كان الناس ينظرون الى في آخر كل مقطع كأنها يطلبون المزيد ... وصرت أقول : « خلص » ... « انتهت » ... لكن ، يبدو لي ان الناس ، أو المتذوق العادي ، قادرون بسرعة جدا على تبني المواقف الجديدة ، والتعود عليها . وهانذا اليوم ، في كل امسية شعرية اطلب بان اقرأ مقاطع من « كتاب الحب » .

وشيء آخر جدير بالملاحظة . الاذن العربية متعودة على الطرب « الطويل النفس » ... الموشحات والمواويل والعتابا والميجانا ... وكلها تستغرق زمنا طويلا لسماعها . لكن كيف تظن جمهور المستمعين يتصرف عندما يسمع للوهلة الاولى شيئا مثل :

حبك يا عميقة العينين

تطرف

تصوف

عبادة

حبك مثل الموت والولادة

صعب بان يعاد مرتين

هذه في عرف الموشحات والمطولات مجرد « دخلة » أو مثل :

عشرين ألف امرأة أحببت ..

عشرين ألف امرأة جريت ..

وعندما التقيت فيك يا حبيبتي

شعرت اننى .. الان قد بدأت .

بكل بساطة ، « كتاب الحب » محاولة ، مجرد محاولة . غلتصف الى جميع المحاولات في الادب العربى ، في سبيل ان نمنع عمليات التكلس الشعرية وان نمنع بقاءنا في مكاننا ، وان نقاوم نمو الطحالب الشعرية على اجسادنا .

(الإنسان والثقافة والحضارة - بقية)

ولقد أعطى هذا الشعب الصغير اختصاصيين عديدين منهم المهندسون الزراعيون والفنيون في التدجين والمدرسون والأطباء والمهندسون والكتاب وتوصل إلى أن يصدر مئات الكتب كل عام باللغة المانسية . وبالرغم من أن التفاوت بين الحضارات القومية له أهمية كبرى فنحن نلاحظ ميلا لتخفيف هذا التفاوت وبالتالي لتوحيد مستوى الحضارات المختلفة وأصبح سير التطور سريعا بشكل خاص في البلدان الاشتراكية . ونحن لم نجد في جميع المعمورة ، كما كان الأمر في القرن التاسع عشر ، أنظمة قبلية أو عائلية في حالتها « الفطرية » .

أما من جهة ثانية فانطلاقة حضارة الشعوب التي كانت متخلفة بالأمس أصبحت تحفزا مندفعاً . وهذه الانطلاقة أدت إلى ظهور نماذج حضارية « بسيطة » (تسمى هامشية) جاءت وضع لوحة شاملة للحضارة العالمية أكثر تعقيدا . وهكذا يقودنا الاتجاه الثاني إلى تدعيم الحضارات القومية وإلى ظهور أنماط جديدة لهذه الحضارات فالعصر المعاصر الذي يتجاهل هذا الاتجاه يقع في التعميم ويستعصي عليه فهم تشعب الحضارة العالمية في أيامنا هذه .

إن الثورة العلمية والتقنية قد استبدلت كليا آلات العمل القديمة ووسائله بأجهزة ميكانيكية أو توماتيكية . ويمكننا القول دون خوف في الوقوع في المبالغة أن الإنسانية قد استحدثت في سبعين سنة من هذا العصر نماذج وطرأت جديدة (خاصة في ميدان العلم والتقنية) أكثر مما استحدثت عبر تاريخ الإنسانية بأسره .

والسبعون سنة المنصرمة هي وثبة هائلة في ميدان التطور الحضاري والثقافي . ولكن انطلاقة المكننة الأوتوماتيكية السريعة في ميدان العلم والتقنية قد أحدثت في الوقت ذاته تفاوتاً هائلاً بين تطور مختلف المظاهر الثقافية . لا يمكن لعالم الأخلاق ، والفنون الجميلة ولا مظاهر الحياة الفكرية ، أن تفتخر بانتصارات هي بذات الأهمية وبذات السرعة التي لانتصارات العلم . وليس من باب المصادفة تسمية القرن العشرين « قرن العلم » ولكن المسألة ليست مسألة كمية فقط . في مجال الاختراعات العلمية فإن هذه الاختراعات لها أهمية أساسية وتستدعي بالتالي إعادة النظر في المفاهيم الكونية التي تركزت في قرون عديدة . وهذه الاكتشافات ذاتها هي التي استدعت ظهور علوم جديدة كعلم الأحيائية - الألية « سيمبرنيستيك » وعلم الوراثة « جينيتيك » اللذين احتلا المرتبة الأولى من المعرفة الإنسانية .

وقد أحدث هذا التطور الهائل في ميدان العلم والتقنية نظرية « تفهقر الثقافة » أو بالأحرى تخلف مظاهر الثقافة الأخرى بالنسبة إلى العلوم . زد على ذلك أيضاً أن بعض علماء الثقافة يعتبرون نجاح العالم خطراً على الثقافة وخاصة على علم الأخلاق وعلى الفنون الجميلة . وهكذا ولدت فكرة كثيراً ما تتردد في

مؤلفات الباحثين المعاصرين هي فكرة التفاوت والانفصال بين الحضارة والثقافة الروحية . ولا يبدو لنا طرح المشكلة بهذا الشكل صحيحا ، فالاصح هو الكلام على التفاوت في ايقاعات تطور الثقافة المادية والثقافة الفكرية التي هي جزء لا يتجزأ من الحضارة . وليس المقصود هنا تقدم العلم والتقنية على مظاهر الثقافة الاخرى وعلى طريقة الحياة وعلى نفسية الانسان المعاصر .
وهنا يبرز تناقض اخر يتميز به عصرنا الديناميكي :

أ - التطور العالمي والتقني يسهم في انطلاق الثقافة ونموها .

ب - يؤدي التطور العالمي والتقني الى التفاوت بين مختلف المظاهر الثقافية .

والفرضية الثانية حقيقة لا نزاع فيها . ولكن هل باستطاعتنا ان نعلل هذا التفاوت بأنه « تفهقر ثقافي » ؟ نجيب بالنفي . أولا ، لأن العلم جزء مكمل للثقافة وبالتالي فان تطوره هي تطورات ثقافية (وهذا ما تشبهه الفرضية الاولى) . ثانيا ، لأن هنالك ابدا تفاوتاً في تطور مختلف المظاهر الثقافية ويمكننا ان نشير هنا الى المرحلة الهلينية او الى تقدم الفلسفة وازدهارها في المانيا في اوائل القرن التاسع عشر . وهذا التقدم الذي تحلى باحدى المظاهر الثقافية دون غيرها لم يؤد قط الى انحطاط هذه الثقافة . ولهذا السبب نشك في تحقق التكهانات المشؤومة المرتبطة بتطور العلم . واخيرا فان انسجام التطور الثقافي او تفاوته لا يرتبط فقط بقوانينه الداخلية ولكنه يرتبط قبل كل شيء بالنظام الاقتصادي وبقدرة المجتمع على التنبؤ بنتائج التقنية السلبية واتخاذ التدابير الوقائية لها .

فالتناقض والتفاوت في تطور مختلف المظاهر الثقافية سواء كانت مادية او فكرية ليسا مهدمين ولا نستطيع ان نتحاشاهما . فتتساق سيرة التطور الثقافي مرتبط بالنظام الاقتصادي - السياسي - الاجتماعي كما انه مرتبط بنشاط المجتمع وطاقته على التنبؤ بتطور متزن احادي الشكل في مختلف المظاهر الثقافية .

ان اتجاه المرحلة الحالية هو توفيق مستمر بين مظهري الثقافة المادي والفكري وتدعيم لتداخل العلم والفن والاخلاق من جهة والنشاطات المادية العامة وثقافة الانتاج والعمل من جهة اخرى . ان الحدود القائمة بين الثقافة المادية والثقافة الفكرية تصبح آنذاك اكثر مرونة وغموضا فجزء من الثقافة الفكرية كالعلم مثلا يصبح في الوقت نفسه عاملا مهما في تطور الثقافة المادية وتكتسب عملية انتاج القيم الفكرية طابعا صناعيا واضحا . ويسمح لنا درس هذه العمليات درسا علميا ان نكشف مناحي التطور الثقافي الفكري . نقول التطور ولا نقول غياب الثقافة نتيجة للنجاح الهائل الذي يحققه العلم والتقنية .
والتخوف من « المنظم - الروبوت » كالتخوف من مكتسبات العلوم الاخرى ، مرتبط باحتمال احوال الاوتوماتيكية احوالا لا مكان الانسان (على الاقل

في ميدان الانتاج المادي والفكري) . حتى ان الازدهار المادي لا يعود باستطاعته ، حسب رأي بعض علماء الثقافة المستقبليين ، ان يخلص الإنسانية في حال حدوث انقصاص بين توازن نظام « العمل - الراحة » وتزايد أيام الراحة حتى لا تعود خاضعة لاية رقابة . وما هو انحطاط الثقافة الحقيقي أن لم يكن ملء أيام طويلة بالفراغ واستهلاك « الثقافة الجماهيرية » ؟

الحياة نفسها كفيفة بدحض هذه التخوفات . وتجربة البلدان التي هي في خضم التطور والنمو تبرهن باستعمالها الانسان الآلي أن الآلية لا تقود الى التقايل من قيمة العمل (على الاقل في مستقبل مرئي ظاهر) . وهذه التجربة تقودنا الى اعادة توزيع اليد العاملة فارضة بذلك أكثر فأكثر مهارة هذه اليد واقل فأقل عمالا دون اختصاص . ولكن هذا التوزيع لا يقلل من أهمية عمل الانسان عامة بل يزيد من قيمته . فالاحصاءات الامريكية تدل على ان بين سنتي ١٩٥٨ و ١٩٦٨ ازداد عدد العمال في لصناعة الالكترونية أكثر من ضعفين . وان هذا العدد تضاعف ايضا في التنظيم الصناعي . وازداد عدد العمال أكثر من النصف في صناعة المواد البلاستيكية والآلات التحليلية . فعدد المهندسين العاملين في حقل الانتاج يتزايد باضطراد في البلدان النامية كما ان عدد الباحثين العلميين يتضاعف كل عشر سنوات . فالتجربة تؤكد أن الآلية لا تسوغ التكهنات التشاؤمية في انحطاط قيمة العمل الانساني .

واخيرا ان هذا التخوف من العلم والتقنية آت من وسائل الابادة الجماعية ومن القوة الهائلة التي اعدتها هذه الوسائل ، فلو بقي انتاج أسلحة الابادة الجماعية محافظا على نفس الانتظام التطوري ، تصبح الإنسانية قادرة على تدمير كل ما هو كائن وبالتالي على تدمير ذاتها وجمع قيمتها الثقافية ، ومن المؤكد ان هذا الخطر واقعي . ولكن قوة جميع الناس متحدین وقوة ادراكهم وارادتهم تستطيع ان تتلافى هذا الخطر وان توجه قوة الذرة نحو أهداف سامية .

وترانا نعود من جديد الى الانسان ، فالواقع ان مصير الحضارة بين يديه . فالانسان هو الذي أوجد كل القيم الثقافية والحضارية والحفاظ على هذه القيم وصيانتها والعمل على ازدهارها منوط به فالتقدم الحضاري يصبح مستعصيا ومستحيلا الا اذا كان مرتبطا بفتح الشخصية الإنسانية . ولقد كتب الشاعر السوفييتي اندريه فوزنيسنسكي يقول :

« كل تقدم رجعي

حين يكون الانسان منسحقا »

هذه الكلمات تستوجب ملاحظة وحيدة هي انه ليس هنالك تقدم رجعي ، فالتقدم الذي لا يحمل للانسانية الا الانحطاط والتقهقر والذي يلحق ضررا بتراث الانسانية الثقافي لا يمكن ان ينعت بالتقدمية .

حرصنا ان نظهر في هذه المحاولة ان في تطور الثقافة والحضارة كثيرا من التناقض كما انه مرتبط جذريا بمعضلات وصفناها بانها معضلات ثقافية فالحل او الطريق الذي يجب ان نتبعه للتخلص من هذه التناقضات ينبثق من النشاط التطبيقي للانسان الذي يحول العالم والذي يخلق الثقافة والحضارة ويغيرهما .

اشـــارات :

✽ كاتب هذه الدراسة ليف كوغان ، رئيس قسم السوسولوجيا في المركز العلمي بالاورال ، وعضو أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي . وهو استاذ في جامعة غوركي بالاورال في سفيردلوفسك ، حائز على جائزة الدكتوراة في الفلسفة . له مؤلفات عديدة في العلوم الاجتماعية والجماليات .

✽ نشرت الدراسة في مجلة « ديوجين » الفرنسية ، وترجمها الى العربية رشيد حبشي ونشرتها مجلة « مواقف » اللبنانية .

(الاستراتيجية الصهيونية والارض - بقيسة)

الانتداب ٦) . أما القيم على املاك الفنايين في اسرائيل فتقديره ان مليونين ونصف المليون من الدونمات من مجموع اربعة ملايين دونم في حوزته هي اراضي مفتوحة ٧) ، بينما تقرير لجنة التوفيق الدولية يشير بان مساحة الاراضي المفتوحة التي في حوزة حارس املاك الفنايين الاسرائيلي هي (٤٥٧٤٠٠٠) دونم . ولا يقدم تقدير القيم تفسيراً لهذا التباين في الارقام التي يوردها مقابل ارقام لجنة التوفيق .

ومهما يكن من امر فان تقدير لجنة التوفيق الدولية يبرز ان مجموع الاراضي التي استولت عليها اسرائيل من الاملاك التي اعتبرت اصحابها غائبين تبلغ (١٦٠٣٢٤٠٠٠) دونم ، بما في ذلك معظم اراضي النقب .

ويستخلص دون بيرتس في كتابه « عرب اسرائيل » ، اعتماداً على احصاءات لجنة التوفيق الدولية ان الاراضي التي استولت عليها اسرائيل في النقب تبلغ (١٢٠١٣٨٠٠٠) دونم من الاراضي المتروكة منها (١٤٨٣٥٠٠٠) دونم اراضي زراعية . ويكون مجموع الاراضي الزراعية التي استولت عليها اسرائيل من املاك اللاجئين اكثر من (٤٥٠٠٠٠٠) دونم .

ولم تقتصر عملية الاستيلاء على الاراضي ، بوضع اليد على املاك الفنايين ، ولا على املاك حكومة الانتداب وما ورثته من الحكم العثماني وتقدر هذه الاملاك بين ٢ الى ٣ مليون دونم وكانت تدعى ارض الجفتك ، بل امتدت الى اراضي وقرى العرب الذين بقوا في اسرائيل .

وفي السنوات الاولى منذ قيام الدولة شردت حكومة اسرائيل سكان قرى صفورية واقرب وكفر برعم ومعاول والمجيدل والدامون والبروة وشعب وميعار وغيرها . كما شردت سكان مجدل عسقلان في الخمسينات واستولت على قراهم واراضيهم . وكانت حجة الساطة لتشريد سكان هذه القرى ، هي الابعاد الموقتة عن القرى لغرض المناورات على ان تتم اعادتهم بعد اسابيع . هكذا قيل مثلاً لاهالي قرية صفورية الذين لم يؤمنوا بهذا الكلام ولكن اجلاءهم عن القرية جرى بالقوة ، كذلك قيل لاهالي اقرب وكفر برعم وغيرها .

لم يكن « التطوير » هو غاية الحكومة من الاستيلاء على الارض . لم يكن الهدف تقويض اركان الاقطاع العربي ، كما لا تزال السلطات تزعم حتى اليوم ، بل « انقاذ » الارض ، اي انقاذها من يد اصحابها العرب . المؤسسات اليهودية التي كانت تشتري ارض العرب ، الكيرن كاييمت والبيكا ، اشترت الارض لتكون « ملكاً للشعب اليهودي » ، وهذه الاراضي يجوز بيعها لليهود فقط ولا يجوز بيعها (لغير اليهود) . وكان على هذه المؤسسة ان تنتهج سياسة ، بالنسبة للارض ، تعبر عن جانب من السياسة الصهيونية . وكان على الكيرن كاييمت ان تجند الاموال لهذا الغرض . . (٨) (راجع هوروفتس وليسك) !!

ويبدو ان اية محاولة ، مهما تكن صغيرة ، للتصرف بصورة معاكسة بالعملية المركزية التي تمسكت بها الصهيونية باقصى شدة ، كالتخلي عما جرى تحقيقه

كمكسب صهيوني (مثل ارجاع ارض لايد غير يهودية . او الغاء نقطة استيطانية وغير ذلك) . ان مثل هذا التخلي يعتبر هزيمة اكبر بكثير من بطة وتائر عمليات الاستيلاء على الارض . . . القلق من خطر اعادة وضع الى عهده السابق (مثل ارجاع حقوق اهالي قرىتي اقرث وكفر برعم - ص . خ) اعتبره صحفي اسرائيلي (زئيف شيف ، « هآرتس » ١١ / ٨ / ٧٢) « تقويض الاستيطان الصهيوني » . لانه « يفتح الشفرة الاولى لتداعي البناء كله » (٩) .

لقد احس عرب فلسطين بهذا الخطر ، قبل مطلع القرن الحالي . . فاحتجوا على تصرفات الحكم العثماني ، الذي كان احيانا يقوم بدور الوسيط في تسريب الاراضي من العرب الى اليهود . . وقاوم العرب في زمن الانتداب بيع الاراضي لليهود ، مما اضطر حكومة الانتداب الى وضع قيود على البيع ، وتحريمه في مناطق معينة من البلاد .

وشعور الفلاح الفلسطيني بهذا الخطر ، دفعه الى اللجوء الى عدد من الوسائل لحماية ارضه ، مثل جعل مساحات واسعة من اراضي القرى العربية مشاعاً بين سكان القرية ، على الرغم مما في تشجيع الارض من مشاكل ومن اضرار بالزراعة احيانا . . ولكن هذا الاسلوب من ملكية الارض كانت تفرضه مخاوف تسرب الارض لايد يهودية .

« بالنسبة لاقسام معينة من الارض . . اختار العرب هذا الاسلوب من الملكية (المشاع) . . . على ما فيه من مساوئ للتطوير ، كحاجز ضد انتقال ملكية (الارض لايد يهودية) ولاسباب سياسية لم ترغب الحكومة في الغاء هذا الاسلوب بواسطة القانون » (١٠) .

وفي سنوات ١٩٣٤ / ١٩٣٥ كان لا يزال حوالي ٤٠٪ من الفلاحين العرب يفلحون اراض مشاعية كانت تبلغ مساحتها حوالي ٢٥٪ من الارض الزراعية التي يملكها العرب .

واستخدمت الصهيونية السماسرة اليهود والعرب لاغراء اصحاب الارض ، ببيع اراضيهم لليهود اما مباشرة ، او بيعها اسماسرة عرب الى ان تحين الفرص لنقلها الى ملكية الكيرن كاييمت . وفي الثلاثينات والاربعينات هب المثقفون والكتاب والشعراء العرب لمقاومة سياسة تسريب الارض الى اليهود . . واصبح الدفاع عن الارض جزءاً من الفولكلور العربي . . وجعل ابراهيم طوقان وجه السمسار رمزا للخيانة والصفقة :
« لك وجه سمسار . . . »

حكم عسكري واصطياد الارض

وجد العرب الذين بقوا في اسرائيل ، انفسهم في ظل حكم عسكري شديد الوطأة . . وكان هذا الحكم العسكري يستهدف امرين : اولهما اقامة الحواجز بين

العرب وبين اراضيهم وقراهم ، وثانيهما تسهيل مهمة الشركات اليهودية ودائرة اراضي اسرائيل الاستيلاء على اراضي العرب وتنفيذ مشاريع الاستيطان في القرى العربية وعلى الاراضي التي ينجلي أصحابها عنها . وقد وجه الحكم العسكري جزءا كبيرا من اهتمامه لابعاد العرب عن اراضيهم وبالتسالي ابعادهم الى خلف خطوط وقف اطلاق النار حيث امكن ، بفرض تنظيف مناطق الحدود من العرب .

وليس مشروع تهويد الجليل ، الذي ينهك حكام اسرائيل في تنفيذه الآن ، بأمر جديد ، بل انه هدف من أهداف الاستيطان الصهيوني ، قبل قيام دولة اسرائيل . وقد لخص اوشسكين هذا الهدف في خطاب القاء امام اللجنة التنفيذية الصهيونية عام ١٩٣٧ على الوجه التالي :

« ... علينا ان نبذل جهدا للاستيلاء على مواقع بعيدة عن مراكز الاستيطان ، لضمان اوسع الحدود لبلادنا . ولما وضعنا البرامج لشراء الارض كان هذا الهدف (؟) دائما نصب اعيننا : الاستيلاء على مناطق بعيدة . . ففضلا عن جودة الارض كانت تحركنا الرغبة لتوسيع الحدود مهما تبلغ المصاعب . وعلمنا ان نتذكر ان قسما معروفا من مستوطنات ديفانيا موجود عبر النهر ، وعلى الرغم من ذلك فهو بأيدينا . هذا هو الاحتلال الحقيقي للحدود من الوجهة السياسية . وعلى أساس هذا المفهوم قررت الكيرن كاييمت في السنة الاخيرة توسيع نشاطها كي تضمن باقصى سرعة ممكنة ، والى الحد الذي تستطيع الوصول اليه ، الحدود في الشمال والشرق . . . فليس مسألة الزراعة هي ما نصبوا اليه ، بل اننا نطمح ، بالدرجة الاولى بان نضمن الامة ، اوسع الحدود الممكنة لبلادنا » (١) .

وكان معروفا قبل صدور قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ ، ان الجليل سيكون خارج حدود الدولة اليهودية . . ولكن الحركة الصهيونية كانت تعد اعدة للاستيلاء على الجليل ، قبل قيام الدولة . وكان هذا الهدف ، موضع نقاش في الحركة الصهيونية ، انتشرت فيه آراء دعاة استيطان الجليل ، خصوصا هؤلاء الذين كانوا يمثلون « اليسار » الصهيوني او الحركة العمالية الصهيونية . فالقضية التي نواجهها الآن في الجليل ليست مسألة تطوير ، بل مسألة تحقيق الهدف الصهيوني الذي حدده بن غوريون كما يلي :

« الاستيطان نفسه هو الذي يقرر اذا كان علينا ان ندافع عن الجليل ام لا . هذا يتعلق بالناس الذين يشعرون بالواجب ويريدون الدفاع عنه . يقوون (جابوتنسكي) ان هذه هي مسألة دبلوماسية ، مسألة العلاقات مع العرب (وفي الجلسة نفسها تسرب ان قلق الى ان مسألة الدفاع عن المستوطنات في الجليل قد تتحول الى حرب شاملة مع العرب) . فالسؤال ليس دبلوماسيا (أي العلاقات مع بريطانيا) وليس مع العرب ايضا .

هذه مسألة صهيونية بحتة... مسألة تتفق بالناس السذجين يشعرون بالواجب ويريدون الدفاع» .

ويستطرد بن غوريون في الموضوع نفسه :

« مئات الناس يستطيعون الدفاع عن مواقفنا في الجليل ، طبعاً اذا يؤمن لهم الغذاء وما الى ذلك ، واذا ما تقوا العون السياسي . وواضح بدون هذا يكون الوضع صعباً . ولكن هذا كله نأخذ على عاتقنا (نحن العمال) . فطالما نستطيع الدفاع - واجبتنا ان ندافع - والا نترك مواقفنا » (١٢) .

مما ذكر اعلاه يتضح ان قرارات الحكومة ، في ١٩٧٦ ، لمصادرة الاراضي في الجليل ، لا علاقة لها بالتطوير . . خصوصاً في وقت تعاني فيه الدولة أزمة اقتصادية وأزمة هجرة في آن واحد . ان التستر وراء اسم « التطوير » هو للتستر على الهدف الحقيقي للمصادرة ، بعد ان أصبح العالم شديد الحساسية للوضع في المنطقة بوجه عام والنزاع الاسرائيلي - العربي بوجه خاص .

لقد احتلت اسرائيل اقسام الجليل التي لم تكن مخصصة للدولة اليهودية حسب قرار التقسيم ، في سنة ١٩٤٨ ، وضمتها الى اسرائيل بحق الفتح . . وكانت المنطقة التي دخلت تحت الحكم الاسرائيلي ذات اغلبية سكانية عربية ولا تزال حتى يومنا هذا . ولتغيير هذه الحقيقة يطرح حكام اسرائيل اليوم مسألة تنفيذ مشروع التهويد الصهيوني باسماء مختلفة مثل « التطوير » و « توزيع السكان » . .

ومهما تكن نوايا حكام اسرائيل ، فلا يمكن تجاهل الحقوق القومية للعرب الذين بقوا تحت حكم اسرائيل . . وفي الدرجة الاولى حقهم في الاحتفاظ بأماكنهم وأراضيهم .

والنزاع بين حكام اسرائيل والعرب الذين بقوا في اسرائيل ، منذ الساعات الاولى لقيام الدولة هو حول حق العرب في الاحتفاظ بأراضيهم ، هذا الحق الذي ينكره عليهم حكام اسرائيل .

ويستخدم حكام اسرائيل سلاح التهديد للعرب الذين يدافعون عن أراضيهم واتهامهم بالعداء للدولة ، وبالميل الانفصالية . . ويتبعون هذا التهديد بأعمال القمع والتنكيل والمطاردة والتشريد لتحطيم مقاومة العرب لسياسة الاستيلاء على الارض التي يملكونها ، او ما تبقى منها بعد حملات المصادرة الواسعة .

بموضوعية شعب سحفته المؤامرات وعدوان الامبريالية واعوانها - الحركة الصهيونية والرجعية العربية - أصبح شعبنا على قناعة - قناعة موضوعية جداً - ان الحل لمشاكله ليس برفع شعار الانفصال عن اسرائيل ، بل بتسوية

عادلة للنزاع الاسرائيلي - العربي بمجمعه . . تسوية تقوم على الانسحاب الكامل من المناطق التي احتلتها اسرائيل في حرب ١٩٦٧ ، والاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني باقامة دولته المستقلة في المناطق التي تنسحب منها اسرائيل ، وكذلك الاعتراف بحق اللاجئين العرب في العودة او قبول التعويض .

وحين يطرح حكام اسرائيل قضية ولاء العرب في اسرائيل الدولة ، فلا يستطيع العرب فهم هذا الولاء الا انه مسألة الدفاع عن اراضيهم بالدرجة الاولى ، والالتزام بالواجبات تجاه السلطة التي تحكمهم على اساس تحقيق المساواة التامة للعرب في اسرائيل .

ان ايمان حكام اسرائيل في تنفيذ سياسة الاستيلاء على الارض ، وتحويل العرب في اسرائيل الى اقلية مجردة من الارض ، ما هو الا عملية تذكيب ، بل عملية القضاء على الكيان القومي لعرب ، واهم ما يبرز في السياسة الرسمية اليوم هو اخذ الارض بدون عرب واعتبار العرب ، مجرد اقلية ، وليس اقلية قومية .

ومهما تكن السياسة الصهيونية ، فان لكل اقلية قومية حقوقا قومية فضلا عن الحقوق اليومية . ويحاول حكام اسرائيل ، بشتى الوسائل ، واشدها بطشا ، تجريد العرب في اسرائيل من حقوقهم القومية ، وتحويلهم الى اقلية ثقافية - دينية .

وقد اعترف مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ، شموليل طوليدانو ، بان سياسة الحكومة تجاه العرب في اسرائيل تطمس الفوارق بينهم وبين سكان المناطق المحتلة ، من حيث موقف الدولة منهم . ومن الطبيعي ان النتائج المترتبة على هذه السياسة ، هي من صنع حكام اسرائيل انفسهم وهم يتحملون مسؤوليتها حتى النهاية .

مشروع التطوير - تهويد الارض

بعد موجة مصادرة الاراضي في الخمسينات ، من اصحابها العرب ، الذين بقوا في اسرائيل ، ذكرت المصادر الحكومية في عام ١٩٥٧ ان القرى العربية تستثمر زهاء ١٦٢٥٠٠٠٠٠٠ دونم من الاراضي التي يملكونها ، وحوالي نصف مليون دونم من املاك الدولة (١٢) .

لاضفاء صفة قانونية على استملاك الاراضي التي استولت عليها الحكومة من املاك الفلاحين ، سنت قانون استملاك الاراضي (تصديق الاجراءات والتعويض) في عام ١٩٥٣ . وبموجب هذا القانون ، اقرت الحكومة التعويضات لاصحاب الاراضي العرب الذين صادرت اراضيهم في اسرائيل . وعلى الرغم من صعوبة تدقيق مساحة الاراضي التي صودرت من العرب في اسرائيل ، فان بعض المصادر الرسمية تضع هذا الرقم بين ٣٠٠٠٠٠٠ و ١٦٠٠٠٠٠٠٠٠ دونم (١٤) . وقد اثار مشروع هذا القانون معارضة الكتلة الشيوعية في الكنيست وعدد

من أعضاء الكنيست العرب في حزب المباي الحاكم ، مثل السيد مسعد قسيس . ومعارضو هذا القانون وعلى رأسهم الشيوعيون انتقدوا التمييز القومي الصارخ الذي ينطوي عليه . أما الحكومة فقد زعمت أن القانون المقترح يستهدف تجزئة الملكيات الكبيرة لوضع حد لخطر الاقطاع (!) ..

وبموجب هذا القانون اقترحت الحكومة اعطاء ارض لاصحاب الارض المصادرة ، من املاك الغائبين ، على أساس « الاعارة والتأجير » .. او تعويضات نقدية تقل عن واحد من عشرة من قيمة الارض الحقيقية في حينه ... في ١٩٥٠ عرضت الحكومة ثمنا للدونم الواحد في بعض المناطق ١١٥ ليرة ، في حين كان سعره في السوق ١٢٥٠ ليرة وما فوق ١٥٠ .

وبموجب لجنة الكنيست للقانون ، فإن هدف القانون هو اعطاء شرعية لمصادرة اراضي العرب مع منحهم التعويضات في الوقت نفسه .

وكتبت « هارتس » في حينه ان هدف القانون اعطاء شرعية للاستيلاء على اراضي العرب من قبل المستوطنات التعاونية التي ترغب في زيادة حجم اراضيها . وكتبت « هارتس » : « ليس هناك ما يسوغ اعطاء شرعية لحقيقة ان مستوطنات معينة استغلت انتصار الدولة في الحرب الدفاعية ضد الغزاة ، للاستيلاء على اراضي جيرانهم لخدمة اغراضهم هم ... » وعارضت « هارتس » القانون المقترح لثلاثة اسباب هي انه مجحف ، ويفتقر الى التفهم السياسي للعوامل الضرورية لاعادة بناء المجتمع العربي ، « الذي تضررت حياته الزراعية باجراءات معوجة » ، كما ان القانون لا يعترف بأن « الاستيلاء على ممتلكات الاقلية من شأنه ان يقوض حق الملكية الفردية » (١٦) .

لقد ادت سياسة مصادرة الاراضي من اصحابها العرب ، الى تفويض عدد من فروع الزراعة العربية بسبب تقلص مساحة الارض ، وتدني مساحة الارض المزروعة بالنسبة للوحدة الزراعية في القرية من اكثر من ٤٩ دونما في زمن الانتداب الى حوالي ٣ دونمات الآن . وتحولت القرى العربية الى تكتلات للنوم ، للعمال الذين يتركون قراهم للعمل في الزراعة والصناعة اليهودية ، المقامة على اراضيهم التي صودرت منهم . وحرمت القرى العربية من امكانيات التطوير الصناعي والزراعي .

هذا القلق على مصير الارض ، وعلى امكانيات العيش والتطور ، والخوف من التشرذم وعواقب سياسة التمييز القومي الفاضح في جميع المجالات ، هو الذي يفسر الخلفية لهبة الاحتجاج الشعبي التي انفجرت في الاضراب الشامل في ٣٠ آذار ١٩٧٦ .

فقد كانت هذه الهبة تعبيراً عن رفض العرب في اسرائيل لسياسة التمييز والمصادرة التي تتهدد بالقضاء على مقومات بقاء العرب في مدنهم وقراهم . مشروع تطوير الجليل ، الذي تتحدث عنه الدوائر الرسمية باعتزاز ،

ليس إلا عملية تهويد تهدد مستقبل سكانه العرب (١٧) : فالجليل الذي يمتد من حدود لبنان الى مرج ابن عامر والذي تبلغ مساحته ١٤٥ مليون دونم ، لا تزال تعيش فيه اكثرية عربية .. وهذا هو ما يقلق اصحاب سياسة التطوير ، وليس التطوير نفسه .
جاء في مشروع التطوير المذكور :

« القضية الخاصة بالجليل هي قلصة السكان اليهود بالنسبة لغير اليهود ، الذين يؤلفون ٧٠ بالمئة من مجموع السكان . في سنة ١٩٧٣ كان عدد السكان غير اليهود في الجليل ١٤٧ ألفا و ٦٢ ألف يهودي . وفي اطراف الجليل هناك ٤٠ ألف من السكان غير اليهود يقطنون في ضواحي حيفا وفي عكا وطمرة وشفاعمرو » ..

اما اهداف مشروع تطوير الجليل فهي :
تغيير الوضع الديموغرافي الراهن بين السكان اليهود وغير اليهود ،
بواسطة مشروع تطوير طويل الامد اهدافه هي :

- تحويل اقليم الجليل الجبلي الى منطقة ذات اكثرية يهودية .
- ضمان توزيع صحيح للسكان اليهود في الجليل .
- تعزيز اقتصاد السكان الموجودين فيه وهؤلاء الذين ينضمون اليهم في المستقبل .

ويستطرد اصحاب المشروع « ان القضية الاساسية في الجليل التي تنعكس في العلاقة الديموغرافية (اي الطابع السكاني) بين السكان اليهود وغير اليهود ، هي غير قائمة ، بصورة مماثلة في جميع اجزاء الجليل ... والمهمة الرئيسية الواردة في الاقتراح - تحويل الجليل الى منطقة ذات اكثرية يهودية - هي غير قابلة للتنفيذ في الحاضر الفوري ، ولذلك تقرر تنفيذ المشروع على مرحلتين : المرحلة القريبة حتى سنة ١٩٨٠ ، والمرحلة التي تعقبها حتى سنة ١٩٩٠ » .

ويشتمل المشروع على اقامة ٨ قرى صناعية : ٣ منها في اراضي التوفانية في الجليل الغربي ، و ٢ منها في مجموعة مستوطنات سيجف ، و ٣ في منطقة حزون ، وكذلك العمل على زيادة السكان اليهود في المنطقة .

وهذا المشروع يتطلب المزيد من الارض التي يملكها العرب لتنفيذ هذا المخطط ، لان من طبيعة الاستيطان الجديد والتوسع ، الا يقوم على ما هو في حوزة ادارة اراضي اسرائيل الحكومية ، بل على استملاك اراض جديدة من العرب .

ومشروع « التطوير » الجديد ، هو اصدق شاهد ودليل على نوايا الحكومة وعلى معنى التطوير الذي يتحدث عنه المسؤولون .

وكانت نظرية الصهيونية في التعامل مع العرب هي : ما أصبح في يدينا هو لنا ، وما لا يزال في يد العرب ، هو المطلوب ، وهو موضوع التفاوض .

فبعد تشييد الناصرة العليا ، على حساب اراضي مدينة الناصرة العربية وقرى عين ماهل والرينة وكفر كنا والمشهد ، تحاول الحكومة الآن مصادرة آلاف الدونمات الجديدة في الناصرة وقضاها ، بما تبلغ مساحته اكثر من ٤٥٠٠ دونم ، لتوسيع المجال الحيوي للناصرة العليا ، ولتشديد الخناق على الناصرة ، المدينة العربية الوحيدة في اسرائيل .

فالناصرة العربية ، التي يبلغ عدد سكانها حوالي ٤٠٠٠٠ نسمة ، فان مسطح المدينة وجميع ما تملكه من ارض تقلص الى ٧٠٥٠٠ دونم ، ثلثها املاك اديرة واملاك حكومية .. بينما اراضي الناصرة العليا التي لا يزيد عدد سكانها عن ٢٠ ألف نسمة تبلغ ٩٠٥٠٠ دونم . ومن الجدير بالذكر ان مسطح الناصرة في عهد الانتداب حين كان عدد سكانها ١٥ ألف نسمة كان ١٥ ألف دونم (١٨) ، استولت الحكومة الاسرائيلية على نصفها من اجل الاستيطان اليهودي في الناصرة العليا .

ان سياسة الحكومة لحل ازمة مسطحات ابناء في القرى العربية التي تعاني نقصا في الارض لبناء المساكن ، هي سياسة البذل .. دونم ارض للعمار في القرية من ارض حكومية مقابل ١٠ او اكثر من الارض الزراعية او الوعرية التي يملكها الفلاحون . وهذا الاسلوب القسري هو ايضا احدي وسائل تجريد العرب من اراضيهم .

يتحدث مشروع « التطوير » عن مصادرة ٢٠٠٠٠ دونم ، قيل ان ٨٠٠٠٠ منها ارض حكومية ، و ٥٠٠٠٠ ارض يهودية .. ان الارض الحكومية التي يجري الحديث عنها ، ان كانت ميري او موات ، فللمزارعين العرب حقوق فيها بحكم المزارعة ومرور الزمن . ولا يجوز نزع ملكيتهم عنها دون مراعاة مصالح القرى والمزارعين العرب .

اراضي القرى المسجلة على اسم المندوب السامي البريطاني في حينه ، لمصلحة القرى التي توجد فيها الارض ، هي املاك دولة بالاسم .. والحقيقة انها ارض تخص سكان القرى سجلت بهذا الاسلوب لانعدام سلطات محلية في حينه .. وليس احق بهذه الارض سوى اصحابها الذين يقيمون عليها ، خصوصا وان هذه الاراضي هي حيوية جدا بالنسبة للقرى العربية . وهناك خلاف في المحاكم على ما يتراوح بين ٦٠-٧٠ ألف دونم ، حسب تقديرات المحامي حنا نقاره . وهناك قضايا معقدة في المحاكم على قسم كبير من هذه الاراضي ..

الى جانب « مشروع التطوير » للجليل ، هناك مخططات اخرى للمصادرة لم يعلن عنها بقرار حكومي كالمشروع المذكور . وهذه المخططات يجري تنفيذها دونما ضجة شعبية ، وتشمل عشرات آلاف الدونمات من الاراضي العربية .

ان قرار اغلاق قسم كبير من اراضي المل ، في الجليل الاوسط ، التي تخص قرى سخنين وعرابة ودير حنا ، والمعروفة بالقاموس العسكري بالمنطقة رقم - ٩ ، هو مقدمة لمصادرة قسم كبير منها تزيد مساحته عن جميع المساحة المقرر مصادرتها بموجب « مشروع التطوير » المذكور .

تسوية الاراضي في الشمال (١٩٠)

الوضع في الشمال في ١٩٦٣/٤/١ كان كما يلي :

- ١ - ٤٢ قرية عربية كان في حوزتها عند قيام الدولة ٧٠٦٠٠٤٩ دونم .
- ٢ - «ادارة التطوير» وقسم املاك الفاتحين ادعى ملكية ٤٢٣٠٣١٠
- ٣ - الاراضي التي جرى عليها خلاف في المحاكم من مجموع الاراضي التي ادعتها الحكومة ٢١٤٠٩٩٢
- ٤ - ما تبقى من الاراضي انتقلت ملكيته للمدعين - بدون نزاع .

والجدول التالي هو مثل على التفسيرات في ملكية الاراضي في الفترة المذكورة ٢٠٠٠ .

اسم القرية	اراضي القرية	حجم الارض التي ادعتها الدولة	اراضي متنازع عليها	اراضي صادرتها ادارة التطوير	مصادرة من قبل الدولة بلا نزاع
سخنين	٦٩٠٠٠٣	٣٥٠٧٩٦	٤٠٦٦٩	٢٥٤	٣١٠١٢٧
الرامة	٢٥٠٢٤٠	١٠٠٩٦٥	١٠٠٩٦٥	—	—
دير حنا	٣٤٠٥٠٠	١١٠٠٠٦	٢٠٨١٧	١١٠	٨٠١٥٩
البعنة	١٦٠٩٨٠	٧٠٦٣٤	١٠٨٤٠	٦٣٥	٥٠٧٩٤
عرابة	٣٥٠٦٥٠	٢١٠٣١٢	١٣٠٢٨٨	٧٣	٧٠٤٢٤
مجد الكروم	١٩٠٨٩٠	١٢٠٠٧١	٤٠٣١٢	٤٤٧	٧٠٧٦٤
معليا	٣٥٠٤٠٠	١٥٠٥٧٧	١٥٠٤٦١	١٣٠٣٧١	١٠٩١٦

ولا يأخذ اصحاب سياسة المصادرة حاجة القرية العربية للارض ، ولا ينتهجون سياسة توزيع عادلة لما يسمى اراضي الدولة لفائدة جميع السكان في اسرائيل اليهود والعرب وخصوصا الذين يقيمون على الارض ويفاجونها .. وتأخذ مثلاً بارزا على هذا الزعم ، الذي يعكس مأساة مزدوجة لقرية عربية مثل كفر قاسم ، ضحية عدوان ١٩٥٦ :

كانت اقربة تملك ١٢ ألف دونم حين جرى ضم المئات الى دولة اسرائيل بموجب اتفاق رودس، عام ١٩٤٩، منها ٨ آلاف دونم وعربية . صادرت السلطات ٤ آلاف دونم سهلية من اراضي القرية منها حوالي (١٥٠٠) دونم بقيت تحت

تصرف القرية حتى سنة ١٩٥٢ . وما تبقى للقرية من الاراضي السهلية اقل من ٤ آلاف دونم ، في الوقت الذي زاد فيه عدد سكان القرية من ١٧٠٠ نسمة في ١٩٤٩ الى ٦٥٠٠ نسمة في ١٩٧٥ . اوامر المصادرة تتهدد حوالي ٢٥٠٠ دونم من اراضي كفر قاسم ، استحصلت الحكومة على قرارات من المحكمة بنزع اليد عن ملكية قسم منها في اوائل ١٩٧٦ (٢١) .

ماساة النقب

لقد رافق عمليات المصادرة منذ قيام الدولة ، خصوصا في سنيها الاولى ، عمليات تشريد للسكان العرب والاستيلاء على قرى باكملها ، كما اشرنا آنفا . . ولا تزال ماساة النقب مستمرة ، بعيدة عن أعين العالم حيث اصوات الاحتجاج لم تستطع ان تحتاز اسوار الصمت ، قبل ان تذوب على كثبان النقب . . في سنة ١٩٤٨ كان يسكن النقب ٨٤ ألف بدوي ، بقي منهم في المناطق التي تحكمها اسرائيل ١٣ ألف بدوي . واقام هؤلاء في شمال النقب ، قرب غزة وبئر السبع وبئر عسلوج وغيرها . والسيطرة على هؤلاء البدو بيد حديدية قامت السلطة العسكرية بتركيزهم في مناطق اخرى ، مثل منطقة بئر السبع . وهكذا اصاب البدو كثيرا من القوضي والاضطراب بسبب تغيير سكنهم الذي فرضته عليهم السلطة . . فقد اجلي نصفهم عن اماكن سكنهم واراضيهم ونقلوا الى مناطق نظفتها السلطات من قبائل بدوية اخرى في سنة ١٩٤٨ (٢٢) .

ويبلغ عدد البدو اليوم ٣٠ ألف نسمة ، قسم منهم يطالب بحقه في الاراضي التي استصاحوها في الماضي . . واليوم تؤجر هذه الاراضي الى عناصر مختلفة من قبل ادارة اراضي اسرائيل .

« . . . ادارة اراضي اسرائيل باشرت اعمالها في ادارة اراضي الدولة والكيرن كاييمت . وفي السنة الاخيرة (١٩٦٢) اتمت هذه الادارة وضع اليد على الاراضي التي تملكها الدولة في النقب والتي تبلغ مساحتها حوالي ٤ ملايين دونم الممتدة من رمال حلوتسه الى الجنوب . واطمت خرائط لتسوية ملكية الارض على حوالي ٨٠٠ ألف دونم في جوار ايلات وشمالها . . » (٢٣) .

ويبدو ان نضال البدو العنيد من اجل اعتراف السلطة بملكيتهم على اراضيهم يثير ردود فعل شديدة لدى السلطات التي تحاول مصادرة اكثر من ١٤٥ مليون دونم جديد في النقب واجلاء البدو عن اراضيهم بحجة اقامة مساكن لاستيطانهم . ويتوج مشروع المصادرة ، اقامة مطار جوي دولي جديد على اراضي البدو التي يعتاشون منها حاليا . والواقع ان اراضي البدو في النقب ، هي ليست المكان الوحيد ، من ملايين الدونومات التي تملكها الحكومة ، الذي يمكن شق ارض للمطار فيها .

الانفجار السكاني وسياسة المصادرة

اثبتت سياسة الحكومة تجاه العرب في اسرائيل خلال ٢٧ سنة ، انها سياسة تجريد العرب من اراضيهم ، حتى اصبح النقص في الارض خطرا يهدد مستقبل السكان العرب واستقرارهم . . . خصوصا وان سياسة المصادرة من جهة والفايات التي تستخدم من اجلها من جهة اخرى ، تشكل اجحافا خطيرا بحقوق السكان العرب واحتياجاتهم .

ربيبندو النقص الخطير في الارض الذي يشكو منه العرب من التلخيص التالي للأراضي التي لا تزال تحت تصرف العرب في اسرائيل ، والتي تدعي الحكومة ان ٥٥ بالمئة منها هي ملك للدولة .

ميزان الأراضي في سنة ١٩٦٣ باستثناء أراضي النقب جنوب الد والرملة (٢٤)

مجموع الأراضي التي تستقلها القرى العربية	مناطق زراعية		مجموع الأراضي	نسبة الارض التي تمتلكها الدولة
	اراضي الدولة	ملكية خاصة الوعربة		
٤٤٥٠٥٤٥	٥٩٦٥٢	٣٨٥٠٩٩٣	٤١٣٠١٤٦	١٣٤١٪ جميع الاراضي ٪٥٥

تدل الاحصائيات المذكورة اعلاه ان الارض التي يملكها العرب في اسرائيل لجميع الاغراض تقل عن نصف مليون دونم ارض . . مع العلم ان مساحة اراضي الدولة ، في خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧ تزيد عن ٢١ مليون دونم ، منها ما يزيد عن ٨ ملايين دونم من الاراضي المزروعة .

وتفيد احصاءات ١٩٧٣ ان عدد السكان العرب في اسرائيل ٤١٢ ألف نسمة ، معظمهم يعيش في القرى العربية ، من هؤلاء ٤٦ ألفا في مناطق البدو . وتبلغ نسبة الذين يشتغلون في الزراعة ٢٥ بالمئة من مجموع العاملين العرب الذكور (٢٥) .

ولم يعد تقلص الزراعة العربية هو الخطر الاكبر ، بل النقص في مسطحات البناء والأراضي للمشاريع العامة في القرى العربية ، خصوصا في المستقبل القريب الذي لا يتجاوز عقدا من الزمن ، بالنظر الى التكاثر السكاني الطبيعي العالي من جهة ، وتناقص مساحة الارض المستثمرة من جهة اخرى .

فالسكان العرب يتكاثرون بنسبة ٤١ بالمئة كل سنة ، وقد بقيت هذه النسبة ثابتة من ١٩٥٠ - ١٩٧٣ . أما التكاثر الطبيعي عند اليهود ، بالمقارنة ، فهو يتراوح بين ٢٠٦ بالمئة الى ١٠٧ بالمئة خلال الفترة نفسها . ومن هذه ،

توصل بعض الإحصائيين الى ان السكان العرب يضاعفون انفسهم كل ١٧ سنة ، بينما يحتاج السكان اليهود الى ٤٤ سنة لمضاعفة انفسهم .

وهذه المعطيات تحتم توسيع مسطحات البناء في القرى وفقا لنسبة تكاثر السكان . . خصوصا وان عددا من القرى العربية اصبح يفقر تماما الى الارض حتى لمقتضيات السكن .

وتدل الإحصائيات الرسمية ان الاقلية القومية العربية في اسرائيل . هي اقلية شابة ، فحوالي ٧٠ بالمئة من العرب هم دون سن الثلاثين . . وهاكم بعض الإحصائيات : فالذين تتراوح اعمارهم بين . ١٤ - سنة هم ٤٩٦٦ بالمئة من مجموع السكان ، وبين ١٥ - ١٩ سنة هم ١٠٥٥ بالمئة ، فقط ٣٠٧ بالمئة هم فوق ال ٦٥ سنة .

وتتحدث الإحصاءات الرسمية نفسها عن الاكتظاظ الاسكاني بين العرب ، الذي بلغ حدا يهدد صحة السكان . والجدول التالي يعطي صورة قريبة من الواقع الذي نتحدث عنه :

توزيع السكان بالنسبة للغرفة الواحدة (٢٦)

القطاع	نسبة السكان للغرفة الواحدة على مختلف الدرجات :
	واحد ١٠٠-١٠٥ ١٠٥-١٢٠ ١٢٠-١٤٠ ١٤٠-٢٠٠ ٢٠٠-٢٤٠ ٢٤٠-٢٨٠ ٢٨٠-٣٢٠ ٣٢٠-٣٦٠ ٣٦٠-٤٠٠ ٤٠٠-٤٤٠ ٤٤٠-٤٨٠ ٤٨٠-٥٢٠ ٥٢٠-٥٦٠ ٥٦٠-٦٠٠ ٦٠٠-٦٤٠ ٦٤٠-٦٨٠ ٦٨٠-٧٢٠ ٧٢٠-٧٦٠ ٧٦٠-٨٠٠ ٨٠٠-٨٤٠ ٨٤٠-٨٨٠ ٨٨٠-٩٢٠ ٩٢٠-٩٦٠ ٩٦٠-١٠٠٠ ١٠٠٠-١٠٤٠ ١٠٤٠-١٠٨٠ ١٠٨٠-١١٢٠ ١١٢٠-١١٦٠ ١١٦٠-١٢٠٠ ١٢٠٠-١٢٤٠ ١٢٤٠-١٢٨٠ ١٢٨٠-١٣٢٠ ١٣٢٠-١٣٦٠ ١٣٦٠-١٤٠٠ ١٤٠٠-١٤٤٠ ١٤٤٠-١٤٨٠ ١٤٨٠-١٥٢٠ ١٥٢٠-١٥٦٠ ١٥٦٠-١٦٠٠ ١٦٠٠-١٦٤٠ ١٦٤٠-١٦٨٠ ١٦٨٠-١٧٢٠ ١٧٢٠-١٧٦٠ ١٧٦٠-١٨٠٠ ١٨٠٠-١٨٤٠ ١٨٤٠-١٨٨٠ ١٨٨٠-١٩٢٠ ١٩٢٠-١٩٦٠ ١٩٦٠-٢٠٠٠ ٢٠٠٠-٢٠٤٠ ٢٠٤٠-٢٠٨٠ ٢٠٨٠-٢١٢٠ ٢١٢٠-٢١٦٠ ٢١٦٠-٢٢٠٠ ٢٢٠٠-٢٢٤٠ ٢٢٤٠-٢٢٨٠ ٢٢٨٠-٢٣٢٠ ٢٣٢٠-٢٣٦٠ ٢٣٦٠-٢٤٠٠ ٢٤٠٠-٢٤٤٠ ٢٤٤٠-٢٤٨٠ ٢٤٨٠-٢٥٢٠ ٢٥٢٠-٢٥٦٠ ٢٥٦٠-٢٦٠٠ ٢٦٠٠-٢٦٤٠ ٢٦٤٠-٢٦٨٠ ٢٦٨٠-٢٧٢٠ ٢٧٢٠-٢٧٦٠ ٢٧٦٠-٢٨٠٠ ٢٨٠٠-٢٨٤٠ ٢٨٤٠-٢٨٨٠ ٢٨٨٠-٢٩٢٠ ٢٩٢٠-٢٩٦٠ ٢٩٦٠-٣٠٠٠ ٣٠٠٠-٣٠٤٠ ٣٠٤٠-٣٠٨٠ ٣٠٨٠-٣١٢٠ ٣١٢٠-٣١٦٠ ٣١٦٠-٣٢٠٠ ٣٢٠٠-٣٢٤٠ ٣٢٤٠-٣٢٨٠ ٣٢٨٠-٣٣٢٠ ٣٣٢٠-٣٣٦٠ ٣٣٦٠-٣٤٠٠ ٣٤٠٠-٣٤٤٠ ٣٤٤٠-٣٤٨٠ ٣٤٨٠-٣٥٢٠ ٣٥٢٠-٣٥٦٠ ٣٥٦٠-٣٦٠٠ ٣٦٠٠-٣٦٤٠ ٣٦٤٠-٣٦٨٠ ٣٦٨٠-٣٧٢٠ ٣٧٢٠-٣٧٦٠ ٣٧٦٠-٣٨٠٠ ٣٨٠٠-٣٨٤٠ ٣٨٤٠-٣٨٨٠ ٣٨٨٠-٣٩٢٠ ٣٩٢٠-٣٩٦٠ ٣٩٦٠-٤٠٠٠ ٤٠٠٠-٤٠٤٠ ٤٠٤٠-٤٠٨٠ ٤٠٨٠-٤١٢٠ ٤١٢٠-٤١٦٠ ٤١٦٠-٤٢٠٠ ٤٢٠٠-٤٢٤٠ ٤٢٤٠-٤٢٨٠ ٤٢٨٠-٤٣٢٠ ٤٣٢٠-٤٣٦٠ ٤٣٦٠-٤٤٠٠ ٤٤٠٠-٤٤٤٠ ٤٤٤٠-٤٤٨٠ ٤٤٨٠-٤٥٢٠ ٤٥٢٠-٤٥٦٠ ٤٥٦٠-٤٦٠٠ ٤٦٠٠-٤٦٤٠ ٤٦٤٠-٤٦٨٠ ٤٦٨٠-٤٧٢٠ ٤٧٢٠-٤٧٦٠ ٤٧٦٠-٤٨٠٠ ٤٨٠٠-٤٨٤٠ ٤٨٤٠-٤٨٨٠ ٤٨٨٠-٤٩٢٠ ٤٩٢٠-٤٩٦٠ ٤٩٦٠-٥٠٠٠ ٥٠٠٠-٥٠٤٠ ٥٠٤٠-٥٠٨٠ ٥٠٨٠-٥١٢٠ ٥١٢٠-٥١٦٠ ٥١٦٠-٥٢٠٠ ٥٢٠٠-٥٢٤٠ ٥٢٤٠-٥٢٨٠ ٥٢٨٠-٥٣٢٠ ٥٣٢٠-٥٣٦٠ ٥٣٦٠-٥٤٠٠ ٥٤٠٠-٥٤٤٠ ٥٤٤٠-٥٤٨٠ ٥٤٨٠-٥٥٢٠ ٥٥٢٠-٥٥٦٠ ٥٥٦٠-٥٦٠٠ ٥٦٠٠-٥٦٤٠ ٥٦٤٠-٥٦٨٠ ٥٦٨٠-٥٧٢٠ ٥٧٢٠-٥٧٦٠ ٥٧٦٠-٥٨٠٠ ٥٨٠٠-٥٨٤٠ ٥٨٤٠-٥٨٨٠ ٥٨٨٠-٥٩٢٠ ٥٩٢٠-٥٩٦٠ ٥٩٦٠-٦٠٠٠ ٦٠٠٠-٦٠٤٠ ٦٠٤٠-٦٠٨٠ ٦٠٨٠-٦١٢٠ ٦١٢٠-٦١٦٠ ٦١٦٠-٦٢٠٠ ٦٢٠٠-٦٢٤٠ ٦٢٤٠-٦٢٨٠ ٦٢٨٠-٦٣٢٠ ٦٣٢٠-٦٣٦٠ ٦٣٦٠-٦٤٠٠ ٦٤٠٠-٦٤٤٠ ٦٤٤٠-٦٤٨٠ ٦٤٨٠-٦٥٢٠ ٦٥٢٠-٦٥٦٠ ٦٥٦٠-٦٦٠٠ ٦٦٠٠-٦٦٤٠ ٦٦٤٠-٦٦٨٠ ٦٦٨٠-٦٧٢٠ ٦٧٢٠-٦٧٦٠ ٦٧٦٠-٦٨٠٠ ٦٨٠٠-٦٨٤٠ ٦٨٤٠-٦٨٨٠ ٦٨٨٠-٦٩٢٠ ٦٩٢٠-٦٩٦٠ ٦٩٦٠-٧٠٠٠ ٧٠٠٠-٧٠٤٠ ٧٠٤٠-٧٠٨٠ ٧٠٨٠-٧١٢٠ ٧١٢٠-٧١٦٠ ٧١٦٠-٧٢٠٠ ٧٢٠٠-٧٢٤٠ ٧٢٤٠-٧٢٨٠ ٧٢٨٠-٧٣٢٠ ٧٣٢٠-٧٣٦٠ ٧٣٦٠-٧٤٠٠ ٧٤٠٠-٧٤٤٠ ٧٤٤٠-٧٤٨٠ ٧٤٨٠-٧٥٢٠ ٧٥٢٠-٧٥٦٠ ٧٥٦٠-٧٦٠٠ ٧٦٠٠-٧٦٤٠ ٧٦٤٠-٧٦٨٠ ٧٦٨٠-٧٧٢٠ ٧٧٢٠-٧٧٦٠ ٧٧٦٠-٧٨٠٠ ٧٨٠٠-٧٨٤٠ ٧٨٤٠-٧٨٨٠ ٧٨٨٠-٧٩٢٠ ٧٩٢٠-٧٩٦٠ ٧٩٦٠-٨٠٠٠ ٨٠٠٠-٨٠٤٠ ٨٠٤٠-٨٠٨٠ ٨٠٨٠-٨١٢٠ ٨١٢٠-٨١٦٠ ٨١٦٠-٨٢٠٠ ٨٢٠٠-٨٢٤٠ ٨٢٤٠-٨٢٨٠ ٨٢٨٠-٨٣٢٠ ٨٣٢٠-٨٣٦٠ ٨٣٦٠-٨٤٠٠ ٨٤٠٠-٨٤٤٠ ٨٤٤٠-٨٤٨٠ ٨٤٨٠-٨٥٢٠ ٨٥٢٠-٨٥٦٠ ٨٥٦٠-٨٦٠٠ ٨٦٠٠-٨٦٤٠ ٨٦٤٠-٨٦٨٠ ٨٦٨٠-٨٧٢٠ ٨٧٢٠-٨٧٦٠ ٨٧٦٠-٨٨٠٠ ٨٨٠٠-٨٨٤٠ ٨٨٤٠-٨٨٨٠ ٨٨٨٠-٨٩٢٠ ٨٩٢٠-٨٩٦٠ ٨٩٦٠-٩٠٠٠ ٩٠٠٠-٩٠٤٠ ٩٠٤٠-٩٠٨٠ ٩٠٨٠-٩١٢٠ ٩١٢٠-٩١٦٠ ٩١٦٠-٩٢٠٠ ٩٢٠٠-٩٢٤٠ ٩٢٤٠-٩٢٨٠ ٩٢٨٠-٩٣٢٠ ٩٣٢٠-٩٣٦٠ ٩٣٦٠-٩٤٠٠ ٩٤٠٠-٩٤٤٠ ٩٤٤٠-٩٤٨٠ ٩٤٨٠-٩٥٢٠ ٩٥٢٠-٩٥٦٠ ٩٥٦٠-٩٦٠٠ ٩٦٠٠-٩٦٤٠ ٩٦٤٠-٩٦٨٠ ٩٦٨٠-٩٧٢٠ ٩٧٢٠-٩٧٦٠ ٩٧٦٠-٩٨٠٠ ٩٨٠٠-٩٨٤٠ ٩٨٤٠-٩٨٨٠ ٩٨٨٠-٩٩٢٠ ٩٩٢٠-٩٩٦٠ ٩٩٦٠-١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠-١٠٠٤٠ ١٠٠٤٠-١٠٠٨٠ ١٠٠٨٠-١٠١٢٠ ١٠١٢٠-١٠١٦٠ ١٠١٦٠-١٠٢٠٠ ١٠٢٠٠-١٠٢٤٠ ١٠٢٤٠-١٠٢٨٠ ١٠٢٨٠-١٠٣٢٠ ١٠٣٢٠-١٠٣٦٠ ١٠٣٦٠-١٠٤٠٠ ١٠٤٠٠-١٠٤٤٠ ١٠٤٤٠-١٠٤٨٠ ١٠٤٨٠-١٠٥٢٠ ١٠٥٢٠-١٠٥٦٠ ١٠٥٦٠-١٠٦٠٠ ١٠٦٠٠-١٠٦٤٠ ١٠٦٤٠-١٠٦٨٠ ١٠٦٨٠-١٠٧٢٠ ١٠٧٢٠-١٠٧٦٠ ١٠٧٦٠-١٠٨٠٠ ١٠٨٠٠-١٠٨٤٠ ١٠٨٤٠-١٠٨٨٠ ١٠٨٨٠-١٠٩٢٠ ١٠٩٢٠-١٠٩٦٠ ١٠٩٦٠-١١٠٠٠ ١١٠٠٠-١١٠٤٠ ١١٠٤٠-١١٠٨٠ ١١٠٨٠-١١١٢٠ ١١١٢٠-١١١٦٠ ١١١٦٠-١١٢٠٠ ١١٢٠٠-١١٢٤٠ ١١٢٤٠-١١٢٨٠ ١١٢٨٠-١١٣٢٠ ١١٣٢٠-١١٣٦٠ ١١٣٦٠-١١٤٠٠ ١١٤٠٠-١١٤٤٠ ١١٤٤٠-١١٤٨٠ ١١٤٨٠-١١٥٢٠ ١١٥٢٠-١١٥٦٠ ١١٥٦٠-١١٦٠٠ ١١٦٠٠-١١٦٤٠ ١١٦٤٠-١١٦٨٠ ١١٦٨٠-١١٧٢٠ ١١٧٢٠-١١٧٦٠ ١١٧٦٠-١١٨٠٠ ١١٨٠٠-١١٨٤٠ ١١٨٤٠-١١٨٨٠ ١١٨٨٠-١١٩٢٠ ١١٩٢٠-١١٩٦٠ ١١٩٦٠-١٢٠٠٠ ١٢٠٠٠-١٢٠٤٠ ١٢٠٤٠-١٢٠٨٠ ١٢٠٨٠-١٢١٢٠ ١٢١٢٠-١٢١٦٠ ١٢١٦٠-١٢٢٠٠ ١٢٢٠٠-١٢٢٤٠ ١٢٢٤٠-١٢٢٨٠ ١٢٢٨٠-١٢٣٢٠ ١٢٣٢٠-١٢٣٦٠ ١٢٣٦٠-١٢٤٠٠ ١٢٤٠٠-١٢٤٤٠ ١٢٤٤٠-١٢٤٨٠ ١٢٤٨٠-١٢٥٢٠ ١٢٥٢٠-١٢٥٦٠ ١٢٥٦٠-١٢٦٠٠ ١٢٦٠٠-١٢٦٤٠ ١٢٦٤٠-١٢٦٨٠ ١٢٦٨٠-١٢٧٢٠ ١٢٧٢٠-١٢٧٦٠ ١٢٧٦٠-١٢٨٠٠ ١٢٨٠٠-١٢٨٤٠ ١٢٨٤٠-١٢٨٨٠ ١٢٨٨٠-١٢٩٢٠ ١٢٩٢٠-١٢٩٦٠ ١٢٩٦٠-١٣٠٠٠ ١٣٠٠٠-١٣٠٤٠ ١٣٠٤٠-١٣٠٨٠ ١٣٠٨٠-١٣١٢٠ ١٣١٢٠-١٣١٦٠ ١٣١٦٠-١٣٢٠٠ ١٣٢٠٠-١٣٢٤٠ ١٣٢٤٠-١٣٢٨٠ ١٣٢٨٠-١٣٣٢٠ ١٣٣٢٠-١٣٣٦٠ ١٣٣٦٠-١٣٤٠٠ ١٣٤٠٠-١٣٤٤٠ ١٣٤٤٠-١٣٤٨٠ ١٣٤٨٠-١٣٥٢٠ ١٣٥٢٠-١٣٥٦٠ ١٣٥٦٠-١٣٦٠٠ ١٣٦٠٠-١٣٦٤٠ ١٣٦٤٠-١٣٦٨٠ ١٣٦٨٠-١٣٧٢٠ ١٣٧٢٠-١٣٧٦٠ ١٣٧٦٠-١٣٨٠٠ ١٣٨٠٠-١٣٨٤٠ ١٣٨٤٠-١٣٨٨٠ ١٣٨٨٠-١٣٩٢٠ ١٣٩٢٠-١٣٩٦٠ ١٣٩٦٠-١٤٠٠٠ ١٤٠٠٠-١٤٠٤٠ ١٤٠٤٠-١٤٠٨٠ ١٤٠٨٠-١٤١٢٠ ١٤١٢٠-١٤١٦٠ ١٤١٦٠-١٤٢٠٠ ١٤٢٠٠-١٤٢٤٠ ١٤٢٤٠-١٤٢٨٠ ١٤٢٨٠-١٤٣٢٠ ١٤٣٢٠-١٤٣٦٠ ١٤٣٦٠-١٤٤٠٠ ١٤٤٠٠-١٤٤٤٠ ١٤٤٤٠-١٤٤٨٠ ١٤٤٨٠-١٤٥٢٠ ١٤٥٢٠-١٤٥٦٠ ١٤٥٦٠-١٤٦٠٠ ١٤٦٠٠-١٤٦٤٠ ١٤٦٤٠-١٤٦٨٠ ١٤٦٨٠-١٤٧٢٠ ١٤٧٢٠-١٤٧٦٠ ١٤٧٦٠-١٤٨٠٠ ١٤٨٠٠-١٤٨٤٠ ١٤٨٤٠-١٤٨٨٠ ١٤٨٨٠-١٤٩٢٠ ١٤٩٢٠-١٤٩٦٠ ١٤٩٦٠-١٥٠٠٠ ١٥٠٠٠-١٥٠٤٠ ١٥٠٤٠-١٥٠٨٠ ١٥٠٨٠-١٥١٢٠ ١٥١٢٠-١٥١٦٠ ١٥١٦٠-١٥٢٠٠ ١٥٢٠٠-١٥٢٤٠ ١٥٢٤٠-١٥٢٨٠ ١٥٢٨٠-١٥٣٢٠ ١٥٣٢٠-١٥٣٦٠ ١٥٣٦٠-١٥٤٠٠ ١٥٤٠٠-١٥٤٤٠ ١٥٤٤٠-١٥٤٨٠ ١٥٤٨٠-١٥٥٢٠ ١٥٥٢٠-١٥٥٦٠ ١٥٥٦٠-١٥٦٠٠ ١٥٦٠٠-١٥٦٤٠ ١٥٦٤٠-١٥٦٨٠ ١٥٦٨٠-١٥٧٢٠ ١٥٧٢٠-١٥٧٦٠ ١٥٧٦٠-١٥٨٠٠ ١٥٨٠٠-١٥٨٤٠ ١٥٨٤٠-١٥٨٨٠ ١٥٨٨٠-١٥٩٢٠ ١٥٩٢٠-١٥٩٦٠ ١٥٩٦٠-١٦٠٠٠ ١٦٠٠٠-١٦٠٤٠ ١٦٠٤٠-١٦٠٨٠ ١٦٠٨٠-١٦١٢٠ ١٦١٢٠-١٦١٦٠ ١٦١٦٠-١٦٢٠٠ ١٦٢٠٠-١٦٢٤٠ ١٦٢٤٠-١٦٢٨٠ ١٦٢٨٠-١٦٣٢٠ ١٦٣٢٠-١٦٣٦٠ ١٦٣٦٠-١٦٤٠٠ ١٦٤٠٠-١٦٤٤٠ ١٦٤٤٠-١٦٤٨٠ ١٦٤٨٠-١٦٥٢٠ ١٦٥٢٠-١٦٥٦٠ ١٦٥٦٠-١٦٦٠٠ ١٦٦٠٠-١٦٦٤٠ ١٦٦٤٠-١٦٦٨٠ ١٦٦٨٠-١٦٧٢٠ ١٦٧٢٠-١٦٧٦٠ ١٦٧٦٠-١٦٨٠٠ ١٦٨٠٠-١٦٨٤٠ ١٦٨٤٠-١٦٨٨٠ ١٦٨٨٠-١٦٩٢٠ ١٦٩٢٠-١٦٩٦٠ ١٦٩٦٠-١٧٠٠٠ ١٧٠٠٠-١٧٠٤٠ ١٧٠٤٠-١٧٠٨٠ ١٧٠٨٠-١٧١٢٠ ١٧١٢٠-١٧١٦٠ ١٧١٦٠-١٧٢٠٠ ١٧٢٠٠-١٧٢٤٠ ١٧٢٤٠-١٧٢٨٠ ١٧٢٨٠-١٧٣٢٠ ١٧٣٢٠-١٧٣٦٠ ١٧٣٦٠-١٧٤٠٠ ١٧٤٠٠-١٧٤٤٠ ١٧٤٤٠-١٧٤٨٠ ١٧٤٨٠-١٧٥٢٠ ١٧٥٢٠-١٧٥٦٠ ١٧٥٦٠-١٧٦٠٠ ١٧٦٠٠-١٧٦٤٠ ١٧٦٤٠-١٧٦٨٠ ١٧٦٨٠-١٧٧٢٠ ١٧٧٢٠-١٧٧٦٠ ١٧٧٦٠-١٧٨٠٠ ١٧٨٠٠-١٧٨٤٠ ١٧٨٤٠-١٧٨٨٠ ١٧٨٨٠-١٧٩٢٠ ١٧٩٢٠-١٧٩٦٠ ١٧٩٦٠-١٨٠٠٠ ١٨٠٠٠-١٨٠٤٠ ١٨٠٤٠-١٨٠٨٠ ١٨٠٨٠-١٨١٢٠ ١٨١٢٠-١٨١٦٠ ١٨١٦٠-١٨٢٠٠ ١٨٢٠٠-١٨٢٤٠ ١٨٢٤٠-١٨٢٨٠ ١٨٢٨٠-١٨٣٢٠ ١٨٣٢٠-١٨٣٦٠ ١٨٣٦٠-١٨٤٠٠ ١٨٤٠٠-١٨٤٤٠ ١٨٤٤٠-١٨٤٨٠ ١٨٤٨٠-١٨٥٢٠ ١٨٥٢٠-١٨٥٦٠ ١٨٥٦٠-١٨٦٠٠ ١٨٦٠٠-١٨٦٤٠ ١٨٦٤٠-١٨٦٨٠ ١٨٦٨٠-١٨٧٢٠ ١٨٧٢٠-١٨٧٦٠ ١٨٧٦٠-١٨٨٠٠ ١٨٨٠٠-١٨٨٤٠ ١٨٨٤٠-١٨٨٨٠ ١٨٨٨٠-١٨٩٢٠ ١٨٩٢٠-١٨٩٦٠ ١٨٩٦٠-١٩٠٠٠ ١٩٠٠٠-١٩٠٤٠ ١٩٠٤٠-١٩٠٨٠ ١٩٠٨٠-١٩١٢٠ ١٩١٢٠-١٩١٦٠ ١٩١٦٠-١٩٢٠٠ ١٩٢٠٠-١٩٢٤٠ ١٩٢٤٠-١٩٢٨٠ ١٩٢٨٠-١٩٣٢٠ ١٩٣٢٠-١٩٣٦٠ ١٩٣٦٠-١٩٤٠٠ ١٩٤٠٠-١٩٤٤٠ ١٩٤٤٠-١٩٤٨٠ ١٩٤٨٠-١٩٥٢٠ ١٩٥٢٠-١٩٥٦٠ ١٩٥٦٠-١٩٦٠٠ ١٩٦٠٠-١٩٦٤٠ ١٩٦٤٠-١٩٦٨٠ ١٩٦٨٠-١٩٧٢٠ ١٩٧٢٠-١٩٧٦٠ ١٩٧٦٠-١٩٨٠٠ ١٩٨٠٠-١٩٨٤٠ ١٩٨٤٠-١٩٨٨٠ ١٩٨٨٠-١٩٩٢٠ ١٩٩٢٠-١٩٩٦٠ ١٩٩٦٠-٢٠٠٠٠ ٢٠٠٠٠-٢٠٠٤٠ ٢٠٠٤٠-٢٠٠٨٠ ٢٠٠٨٠-٢٠١٢٠ ٢٠١٢٠-٢٠١٦٠ ٢٠١٦٠-٢٠٢٠٠ ٢٠٢٠٠-٢٠٢٤٠ ٢٠٢٤٠-٢٠٢٨٠ ٢٠٢٨٠-٢٠٣٢٠ ٢٠٣٢٠-٢٠٣٦٠ ٢٠٣٦٠-٢٠٤٠٠ ٢٠٤٠٠-٢٠٤٤٠ ٢٠٤٤٠-٢٠٤٨٠ ٢٠٤٨٠-٢٠٥٢٠ ٢٠٥٢٠-٢٠٥٦٠ ٢٠٥٦٠-٢٠٦٠٠ ٢٠٦٠٠-٢٠٦٤٠ ٢٠٦٤٠-٢٠٦٨٠ ٢٠٦٨٠-٢٠٧٢٠ ٢٠٧٢٠-٢٠٧٦٠ ٢٠٧٦٠-٢٠٨٠٠ ٢٠٨٠٠-٢٠٨٤٠ ٢٠٨٤٠-٢٠٨٨٠ ٢٠٨٨٠-٢٠٩٢٠ ٢٠٩٢٠-٢٠٩٦٠ ٢٠٩٦٠-٢١٠٠٠ ٢١٠٠٠-٢١٠٤٠ ٢١٠٤٠-٢١٠٨٠ ٢١٠٨٠-٢١١٢٠ ٢١١٢٠-٢١١٦٠ ٢١١٦٠-٢١٢٠٠ ٢١٢٠٠-٢١٢٤٠ ٢١٢٤٠-٢١٢٨٠ ٢١٢٨٠-٢١٣٢٠ ٢١٣٢٠-٢١٣٦٠ ٢١٣٦٠-٢١٤٠٠ ٢١٤٠٠-٢١٤٤٠ ٢١٤٤٠-٢١٤٨٠ ٢١٤٨٠-٢١٥٢٠ ٢١٥٢٠-٢١٥٦٠ ٢١٥٦٠-٢١٦٠٠ ٢١٦٠٠-٢١٦٤٠ ٢١٦٤٠-٢١٦٨٠ ٢١٦٨٠-٢١٧٢٠ ٢١٧٢٠-٢١٧٦٠ ٢١٧٦٠-٢١٨٠٠ ٢١٨٠٠-٢١٨٤٠ ٢١٨٤٠-٢١٨٨٠ ٢١٨٨٠-٢١٩٢٠ ٢١٩٢٠-٢١٩٦٠ ٢١٩٦٠-٢٢٠٠٠ ٢٢٠٠٠-٢٢٠٤٠ ٢٢٠٤٠-٢٢٠٨٠ ٢٢٠٨٠-٢٢١٢٠ ٢٢١٢٠-٢٢١٦٠ ٢٢١٦٠-٢٢٢٠٠ ٢٢٢٠٠-٢٢٢٤٠ ٢٢٢٤٠-٢٢٢٨٠ ٢٢٢٨٠-٢٢٣٢٠ ٢٢٣٢٠-٢٢٣٦٠ ٢٢٣٦٠-٢٢٤٠٠ ٢٢٤٠٠-٢٢٤٤٠ ٢٢٤٤٠-٢٢٤٨٠ ٢٢٤٨٠-٢٢٥٢٠ ٢٢٥٢٠-٢٢٥٦٠ ٢٢٥٦٠-٢٢٦٠٠ ٢٢٦٠٠-٢٢٦٤٠ ٢٢٦٤٠-٢٢٦٨٠ ٢٢٦٨٠-٢٢٧٢٠ ٢٢٧٢٠-٢٢٧٦٠ ٢٢٧٦٠-٢٢٨٠٠ ٢٢٨٠٠-٢٢٨٤٠ ٢٢٨٤٠-٢٢٨٨٠ ٢٢٨٨٠-٢٢٩٢٠ ٢٢٩٢٠-٢٢٩٦٠ ٢٢٩٦٠-٢٣٠٠٠ ٢٣٠٠٠-٢٣٠٤٠ ٢٣٠٤٠-٢٣٠٨٠ ٢٣٠٨٠-٢٣١٢٠ ٢٣١٢٠-٢٣١٦٠ ٢٣١٦٠-٢٣٢٠٠ ٢٣٢٠٠-٢٣٢٤٠ ٢٣٢٤٠-٢٣٢٨٠ ٢٣٢٨٠-٢٣٣٢٠ ٢٣٣٢٠-٢٣٣٦٠ ٢٣٣٦٠-٢٣٤٠٠ ٢٣٤٠٠-٢٣٤٤٠ ٢٣٤٤٠-٢٣٤٨٠ ٢٣٤٨٠-٢٣٥٢٠ ٢٣٥٢٠-٢٣٥٦٠ ٢٣٥

حكومة الاضطهاد رأساً على عقب .

لقد بطشت الحكومة بهذا الاضراب مستخدمة قوات الجيش وحرس الحدود والشرطة بسبب فزعها من وحدة الجماهير العربية ، وحدة قوضت مواقع الاحزاب الصهيونية التي اقامتها في الوسط العربي بأساليب الارهاب . والكبت خلال ٢٧ سنة من عمر الدولة .

واثبت عدوان السلطة على جماهير عزلاء انها تنظر الى السكان العرب في اسرائيل نفس نظرتها الى سكان المناطق المحتلة . . واعترف مستشار رئيس الحكومة لشؤون العربية ان سلوك الحكومة طمس الفوارق بين معاملة العرب في اسرائيل ومعاملة العرب في المناطق المحتلة .

والتضامن الذي ابداه سكان المناطق المحتلة باعلان الاضراب العام والتظاهر في ٣٠ آذار ١٩٧٦ ، وسقوط الضحايا من القتلى والجرحى ، انما كان تضامناً طبيعياً لانباء شعب واحد مزقت اوصاله المؤامرة الامبريالية - الصهيونية بمساعدة الرجعية العربية .

اضراب ٣٠ آذار فتح عيون العالم والقوى المحبة للسلام على عمق مأساة الشعب العربي الفلسطيني ، بجميع اجزائه ، وعلى خطورة سياسة التوسع الاسرائيلي ، هذه السياسة التي تنذر بزج المنطقة في اتون صراعات دامية تهدد السلام العالمي بأسره .

لقد زعمت ابواق الرجعية الحاكمة في اسرائيل ان ٣٠ آذار قد حرق جسور التعايش بين الشعبين اليهودي والعربي . . .

والسؤال هو : متى كان هذا التعايش قائماً ، وبأي شكل ؟ . . لقد اثبت العرب في ٣٠ آذار ، في يوم الارض التاريخي ، انهم يرفضون تعايش الفارس والمغرس . . تعايش الضحية والجلاد . . وتعايش العبد والسيد .

جسور التعايش الحقيقية تقوم على اساس المساواة التامة في الحقوق ، والاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني ، والانسحاب الكامل من المناطق المحتلة ، والاعتراف بحق اللاجئين العرب بالعودة او قبول التعويض .

ان اتهام السلطة الآخر حول ولاء العرب للدولة ، فان اقصى درجات هذا الولاء هو دفاع السكان العرب عن اراضيهم ، ومصدر رزقهم وملاعب طفولتهم .

ان تنفيذ سياسة المصادرة بعد كل امدى حدث في ٣٠ آذار ، والتصريحات التي اعلتها المسؤولين وعلى رأسهم رئيس الحكومة ، بان هذه السياسة هي جزء من تحقيق الهدف الصهيوني في فلسطين ، انما تضع جميعها علامة سؤال كبيرة على مستقبل التعايش ، وعلى امكانات التفاهم اليهودي - العربي وبالتالي مستقبل السلام في المنطقة .

وليس نضال الجماهير العربية سوى مساهمة جوهرية في انضال من أجل حماية السلام ومنع حرق جسور التفاهم بين الشعبين .. فهذا النضال هو دعامة كبيرة هامة لنضال القوى الديمقراطية اليهودية في اسرائيل التي تحاول وقف التدهور نحو الهاوية .

أشـــارات

١ - ت. هيرسل - المختارات - طبعه يومان ، تل أبيب ، مجلد ٧ ، الكتاب الاول ، ص ٨٦ .
٢ - اوشسكين ، ١٩٤٣ : ١٠٥ (اقتباس) ، كراسة دراسات في السوسولوجيا ، كلية الاقتصاد والعلوم الاجتماعية - المعازر كبلان . الجامعة العبرية - كلية السوسولوجية - القدس ١٩٧٣ بالعبري .)

٣ - دون بيرتس - اسرائيل وعرب فلسطين - اصدار مؤسسة الشرق الاوسط - واشنطن ، ١٩٥٨ .

٤ - نشرة حارس املاك الفاتيين ، كانون الثاني ١٦ ، ١٩٥٣ ، « هارتس » و « جروزلم بوست » ١٨ كانون الثاني ١٩٥٣ - (اقتباس دون بيرتس - المصدر السابق) .
٥ - المصدر نفسه : « هارتس » ١٥ حزيران ١٩٥١ .. حسب مصدر اسرائيلي مجموع القرى العربية في المناطق التي تنازل عنها اسرائيل اليوم كان ٨٦٣ قرية في سنة ١٩٤٥ . ا. اغرانوت ، الاصلاح الزراعي وسجل اسرائيل ، بالانجليزية ، (لندن ١٩٥٦) ص ٨٩ .
٦ - حكومة اسرائيل ، الدرس على املاك الفاتيين ، المصدر نفسه .

٧ - الارقام الاسرائيلية عن حجم املاك الفاتيين ونسبة الارض المفتوحة الى غير المفتوحة متفاوت . ابراهم اغرانوت ، في كتابه الاصلاح الزراعي وسجل اسرائيل (لندن ١٩٥٦) ص ٨٩ يقول : لا نعرف اتساع الاملاك المتروكة ... حسب بعض المصادر ، اعتمادا على معطيات ١٩٤٩ ، تنازل هذه الاملاك من ٣ انواع . الاول اراضي زراعية في القرى العربية تبلغ ١٤٣٧٣،٠٠٠ دونم ، الثانية اراضي جرداء في القرى العربية تبلغ ٢٠٧٢،٠٠٠ دونم ، والثالثة اراضي شمال النقب بفاحها عادة البدو وتبلغ ١٧٠٠،٠٠٠ دونم ، اي مجموع ٥٧٩٣،٠٠٠ دونم . النقب الجنوبي الذي كان باغلبية غير مفتاح ولا معمر ، لم تكن اراضيها ملك احد حسب غرانوت ، الذي يقدر مساحة هذه الاراضي ب ١٠٨٠،٠٠٠ دونم . ويعتقد غرانوت ان لا ملكية ثابتة لاحد في شمال النقب بالنسبة ل ١٧٠٠،٠٠٠ دونم (والتي لا يمكن اعتبارها جميعا املاكاً متروكة، مع انها طبعاً تشمل اقساماً بدون ملاكين . كما انه لا يمكن الافتراض بأن جميع هذه البراري كان لها اصحاب هم غائبون الان . ولهذا يجب تقليص الرقم ٥٧٩٣،٠٠٠ دونم » . ان تقدير مصلحة التطوير الحكومية الاسرائيلية لمساحة

الأراضي المتروكة هو ٤٠١٨٣٠٦٦٩ دونم . ويذكر غرانووت في صفحة ٢٥٤ من كتابه ان ٣ ملايين دونم من الأراضي المتروكة العربية هي أراضي مفتوحة و ١٤٨ مليون دونم غير مفتوحة . أراضي الفلبين موزعة ، وفق مصادره على المناطق التالية : بشر السبع في النقب ٦٠٠٠٠٠٠ دونم ، عكا ١٤٨٠٥٨٠ ، بيسان ١٤٧٠٤٧٧ ، الناصرة ٨٦٠٣٩٣ ، صفد ٤٣٥٠٦٦ ، طبريا ١٦٠٠٧٣١ ، حيفا ٢٥٨٠٤٨٨ ، يافا ١٤٥٠٢٥٤ ، جنين ١٢٥٠٨٢٥ ، نابلس ٨٠٨١٤ ، طولكرم ٢٣٤٠٢٠٩ ، الخليل ١٤٠٠٦٠٥٤٧ ، القدس ٢٠٩٠٣٥٢ ، غزة ٦٤٠٤٥٠٣ ، الرملة ٤٥٥٠٨٢٤ ، وقرى من مختلف المناطق ١٢٠٠٠٠٠ دونم .

٨ - كيمرلتغ بروخ - النضال على الأرض (بالعبرية) كلية الاقتصاد وعلوم الاجتماع على اسم اليعازر كبلان ، الجامعة العبرية ، القدس - ١٩٧٣ .

٩ - المصدر السابق نفسه ، ص ٧٠ .

١٠ - تقرير لجنة بيل ، ١٩٣٧ ، ص ١٥٧ .

١١ - المصدر نفسه .

١٢ - المصدر السابق نفسه . اقوال بن غوريون المشار اليها وردت في جلسة اللجنة الموقفة (٢٠-١٩٢٠) التي عقدت لبحث الخطوات التي يجب اتباعها في مسألة تل حاي والجليل « الفرنسي » .

١٣ - دون بيرنس (حقائق عن اسرائيل ، مكتب الاستعلامات الاسرائيلي - نيويورك) ، ١٩٥٧ ، ص ٤٦ .

١٤ - المصدر نفسه .

١٥ - اقوال الكنيست ، مجلد - ١٣ ، ص ٨٨٩ - ٨٩٨ .

١٦ - المصدر نفسه («هآرتس») ١٠-٣-١٩٥٣ .

١٧ - اقتراح مشروع تطوير الجليل - النشرة الشهرية لوزارة الزراعة ، اكتوبر ١٩٧٥ .

١٨ - الدونم - أرض مساحتها (١٠٠٠) متر مربع . الهكتار - ١٠ دونمات تقريبا .

١٩ - تقرير عن اعمال ادارة اراضي اسرائيل (تموز ١٩٦٣) ص ٧٦ - ٧٧ .

٢٠ - المصدر نفسه .

٢١ - مذكرة بعث بها مجلس محلي كفر قاسم الى مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية .

٢٢ - ملحق « عل همشمار - حوتام » ، رقم ٢٥٢ ، بتاريخ ٦-١١-١٩٧٤ .

٢٣ - خطاب موشه دبان ، وزير الزراعة ، في الكنيست حول الزراعة العربية - شباط ١٩٦٣ .

٢٤ - معطيات تقرير حول تخطيط قرى الاقليات ، باشتراك مركز التخطيط الزراعي والاستيطاني مع وزارة الزراعة في منطقة الناصرة ، ١٩٦٣ .

٢٥ - تقرير الاحصاء السنوي لاسرائيل ، ١٩٧٤ ، رقم ٢٥ ، الدائرة المركزية للاحصاء .

٢٦ - المصدر السابق نفسه ، ص ٢٨٣ .



● الحرس الفتى لمستقبل شعبنا على أرض الآباء والأجداد ،
 ● يهتف في وجه فرمات النهب : « بالروح ، بالدم ، نفديك يا جليل ! »



● قوات « الأمن » التي عادت واستكملت احتلال مواقعها في الناصرة ، تشن
 هجوماً « أمنياً » على الرفيقة نائلة زياد زوجة رئيس البلدية وعضو الكنيست
 الشاعر الرفيق توفيق زياد ●



● خطى الأجيال العربية ●



● وجه السلطة العنصرية ●



● الرفيق توفيق زياد ، يرفع صوت الشعب ! ●

ابراهيم مالك

الزراعة العربية في اسرائيل - معالجة أولية

الزراعة قد أجرت عددا من البحوث حول اوضاع الزراعة العربية في اسرائيل ، الا ان هذه البحوث كانت تستهدف اجراء مسح لاوضاع الزراعة العربية دون البحث عن جوهر القضية الاساسية، التي تعاني الزراعة العربية منها ، وعن الوسائل الكفيلة بتطوير الانتاج الزراعي في الوسط العربي ورفع كفاءة ومستوى مداخل المزارعين العرب .. من الواضح انه يصعب في اطار هذه المقالة دراسة جميع وجوه القضية الزراعية في قرانا العربية .. فكمثيرة هي المعطيات التي تنقص لذلك . ويتطلب الامر دراسة القضية على الطبيعة مباشرة . كما ان المعطيات الرسمية عامة قد تثير انطباعات خاطئة وغير صحيحة . والهدف من هذه المقالة القيام بمعالجة أولية متواضعة لقضية الزراعة العربية في اسرائيل التي يجب معالجتها في اطار اوسع واعقب من اطار المقالة .

تواجه الزراعة العربية في اسرائيل سلسلة من القضايا التي تحول دون تطورها . وهي

تتمكن في الزراعة العربية في اسرائيل المعالم الاساسية للتمييز القومي الذي يتعرض له الاهلون العرب في هذه البلاد . وتشكل الزراعة العربية احدى القضايا الوطنية الاساسية التي تواجه الجماهير العربية في اسرائيل فضلا عن كونها قضية اقتصادية وسياسية واجتماعية .

وتكتسب دراسة هذه القضية اهمية خاصة لكونها مرتبطة بالارض ، التي هي قضية الجماهير العربية الجوهرية في اسرائيل والتي بدونها يتحول الاهلون العرب الى لاجئين في وطنهم ، ولان ٧٠ بالمئة من العرب في اسرائيل يعيشون في قرى ، كانت حتى زمن قصير جدا تعتمد في اقتصادياتها على الزراعة ، ولكونها ترتبط مباشرة بمصالح وحقوق قطاع عريض من المزارعين العرب .. ولكن على الرغم من هذه الاهمية الخاصة لقضية الزراعة العربية لم تجر دراسة جديّة وعميقة لهذه القضية حتى الآن ولافاق تطور الزراعة العربية في اسرائيل . وان تكن وزارة